

الغاعة الرثيفية المطالة على فناء قصر قاسم بك من زعماء الماليك

[راجع مقال الدار الإسلامية في مصر صفحة ١٠٥]

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والتسعين

٦ جاد الثاني سنة ١٣٦٠

١ يوليو سنة ١٩٤١

هذه الحرب العظيمة

بين الحرب الحاضرة والحرب العظمى الماضية وجوه شبه وجوه خلاف
أما وجوه الشبه فأهمها انقسام القارة الأوربية الى معسكرين احدهما ترأسه المانيا والآخر
ترأسه بريطانيا وانضمام الولايات المتحدة الأمريكية الى احد المعسكرين ونصرتها له على
المعسكر الآخر وامتداد نار القتال الى القارة الأفريقية والقارة الآسيوية ومقام حرب الغواصات في
البحرين وما حدث في هذه الحرب من خذل فرنسا لحلفائها على نحو ما صنعت روسيا في الحرب
الماضية واتفاق المانيا مع الدولة الخازلة في الحالين

تعددت وجوه الشبه فهل تشمل نتيجة هذه الحرب فتكون كنتيجة الحرب الأخرى
أما وجوه الخلاف فكثيرة العدد وفي مقدمتها زيادة اشتراك الشعوب في الصراع اشتراكاً
تجلى في الحرب الماضية ولكنه لم يبلغ المبلغ الذي بلغه في هذه الحرب . فالشعوب فيها تكاد
تكون كأنها في ميدان النزاع والقتال . وحسب المرء ان يشير الى عدد القتلى والجرحى المدنيين في البلاد
البريطانية فقد جاوز عدد القتلى من سكان المدن والقرى ستين ألفاً في أقل من عام ولم يسمع بمثل
هذا في الحرب الماضية في بلاد بعيدة عن حومة الوغى كالجزر البريطانية

ومن أهم وجوه الخلاف مقام الطيران في الحربين فقد كان للطيران شيء من الشأن في

الجانب الآخر من الحرب الماضية . أما في الحرب الحاضرة فقد صار له مقام خاص جعله أمضى الأسلحة الثلاثة

ويضاف الى الطيران الاكثثار من استعمال الآلات الأرضية لتحل محل الفرسان والجند وتدفع بقوة الزيت غما أفضى الى تبدل عظيم في الحرب فقل التحام الجند وصار التنافس والتناحر لآلات الحديد والفولاذ

ففضي بذلك على حرب الخنادق وحل محلها الحرب الخاطفة المرموز لها بالطائرات والدبابات والسيارات المدرعة

فالأمة التي تكثرت آلات الحرب والجلاد فيها تكفل الفوز ولا سيما اذا أعدت من الرجال من يحسن استعمال هذه الآلات

ومن الفروق التي لها شأن خطير ما تريده الدولة الألمانية من تحويل أوربا أولاً وسائر اقطار العالم بعدها في اتجاه خاص سموه النظام الجديد وقال عنه خصومه في وصفه انه قسمة الخلق الى قسمين قسم سيد وقسم مسود . وقد أنشأ الالمان بهذا النظام في نفوس انصاره والمؤمنين به حمية تشبه حمية أنصار كل دين جديد فتراهم يلقون أنفسهم في حضن الموت غير مبالين بما يصيبهم ما داموا يجاهدون في سبيل ادراك الغاية العظمى التي وضعها قادتهم وجعلوها هدفاً لجهودهم وهو ما يضاف الى شهوة الفتح وحب التملك وهما اللذان كانا رائد المعتدي في الحرب الماضية ولا يزالان كذلك في هذه الحرب

يقابل هذا النشاط ما هو مشهود في موقف الفريق الآخر من العزم الصادق على صون قواعد العقائد الاجتماعية والسياسية التي يدين بها وتصميمه على الدفاع عنها الى النهاية وبطول بما المقام اذا حاولنا استيفاء جميع وجوه الشبه وجميع وجوه الخلاف في هذا الصراع بين ما حدث في الماضي غير البعيد وما هو حادث الآن

وبحار المرء في العوامل التي أوصلت العالم ولا سيما أوربا الى الموقف الحالي بعد الحرب الماضية وبعد عقد معاهدات الصلح وانشاء جامعة الأمم فقد عمدت المانيا من نحو عشرة أعوام الى التسليح الكثير برأى ومسمع من الدول التي

قهرتها في الحرب الماضية وهي عين الدول التي شهدت مثل هذا الامر في عصر نبوليون فانه بعد ما قهر بروسيا وجردّها من سلاحها حظر عليها تأليف جيش مسلح فلم تقف الأمة البروسية نشيء جمعيات الألعاب الرياضية للشبان وتستمر وراءها لاعداد جيش حتى كان لها ما شاءت وقاتل جيش بلوخر البروسي الى جنب جيش ولتن البريطاني في معركة وترلو التاريخية التي أفل فيها كوكب سعد نبوليون

ومثل هذا جرى في الجبهة الاخيرة بعد صلح باريس فقد عمدت المانيا الى التسليح وكانت تصنع السلاح الجديد الكثير في الحين الذي كان فيه المستر هندرسن الوزير الاشرافي البريطاني رأس ما سمحوه مؤتمر نزع السلاح

ولا يسمع الدول التي تحارب المانيا اليوم أن تزعّم أنّ ما كانت المانيا تصنعه من هذا القليل كان عامه محجوباً عنها فأماننا ونحن نكتب هذه السطور مقال للمستر ونستن تشرشل نشرت ترجمته في المقطم في سنة ١٩٣٥ وفيه ينبه هذا القطب السياسي العظيم قومه وحلفاءهم الى الخطر الذي يعد لهم وراء نهر الرين ليدهمهم في المستقبل غير البعيد

وما برح المستر تشرشل يقرع أسماع قومه بمثل هذه الاقوال وخصومه السياسيون يحاولون اسكاته بدعوى أنه يهيج الحواطر بغير مسوغ الى ان وقعت الواقعة وجاءت الحوادث مؤيدة لما أُنذِر به

لكن أحتمل أن يحقق حلم الهر هتلر أو يكون نصيبه كنصيب نبوليون ان ربح الحرب الدائرة في روسيا الآن تدل على أن أداة الحرب الالمانية لا تزال قوية جداً وأن الالمانيين لا يزالون يواجهون الموت بقيادة زعيمهم بغير وجل وهم كثير و العدد وقد رأيناهم في بلاد اليونان وكربت يهاجمون أعداءهم صفّاً وراء صف فاذا باد الصف الاول حل الصف الثاني محله وهكذا الى أن يحل الاعياء بأعدائهم الذين يواجهونهم أو تفرغ ذخيرتهم فيضطروا الى الفرار ولكن يلوح للمرء أن هناك سترّاً خفياً وقوة كامنة تحمي الحضارة والا فها الذي منع الهر هتلر بعد انهيار فرنسا كدولة محاربة من أن يواصل قتال بريطانيا بعد معركة فلندر وضياح الف مدفع انجليزي وأسر عشرات ألوف من رجال الجيش البريطاني الباسل وما الذي منعه من

الاغارة على الجزر البريطانية قبل أن تستوفي الدولة البريطانية استعدادها وقبل أن تهب الولايات المتحدة الاميركية لنصرتها بالهمة التي تجلبت بها فيما بعد ان هذه الفترة التي تلت قهر فرنسا غيرت سير الحرب ومصيرها حتماً فقد شهد الناس طرّاً كيف ان قوة بريطانيا الجوية أخذت تزيد زيادة مطردة بمعونة اميركا حتى صار في طاقة البريطانيين أن يغيروا اغارات ليلية كبيرة مستمرة على المناطق الصناعية في المانيا ويمطروها وابلاً من قنابلهم نوشك أن تشل تلك الصناعات

* * *

وهنا يبدو للعيان فضل الأسطول البريطاني وقيمة سلطانه على البحار فالمقام ليضيق بنا اذا حاولنا احصاء فعال هذا الأسطول الظاهرة والخفية فانه علاوة على حصر المانيا ومنع وصول المواد الاولية ومواد الطعام اليها حال دون حركاتها العسكرية في غير البر وأيد ما قاله الاميرال ماهان الناقد البحري الاميركي المشهور وهو ان الفوز في الحروب لصاحب السيادة على البحر

وربما كان تحول المانيا عن القتال في الميدان الغربي الى القتال في الميدان الشرقي من أسطع الأدلة على شعورها بالخيبة التي عرتها بمجزها عن غزو بريطانيا وتحقيق ما وعدها به الهر هتلر ان الذين يذكرون في بدء الحرب ما قاله الهر هتلر عن اعتماده على نفسه ودولته دون سواهما في الحرب يعلمون الآن أنه دعا ايطاليا فيما بعد الى معونته فكانت هذه الدعوة سبباً في ما أصاب الايطاليين في قارة افريقيا وضياع امبراطوريتهم فيها ثم عمد الهر هتلر الى استمالة فرنسا اليه حتى لقد قال الاميرال درلان ان المانيا لا تستطيع تحقيق النظام الجديد من غير عون فرنسا

وفي الواقع ان الهر هتلر لم يقصد من فرنسا أن تعينه على تطبيق قواعد النظام الجديد بل قصد أن تخرج عن قواعد الهدنة وتسعفه بأسطوها وبواخزها وموانئها وقواعدها العسكرية في شمال افريقيا وغربها ليقابل القوة التي برزت للقائه من القارة الاميركية نعم ان اميركا لم تنزل الى الميدان بعد ولكنها تصنع في ماسوى ذلك كل ما يصنعه المحارب

بقي هناك عنصر آخر يجب التنويه به وهو ان سير الحضارة من أقدم العصور انما هو في انحاء يناقض الاتجاه الالمانى او النازى فقد اتجه البشر تدريجاً الى الخلاص من ربة الاستعباد والتمتع بالحريّة الفردية وحريّة المجموع على قاعدة التعاون وليس من المستطاع ارجاع الحضارة الفهقرى في سيرها هذا وجل ما يستطاع وقف السير فترة من الزمان تطول أو تقصر بمدى فعل القوى التي تصدها

والذين طالعوا تاريخ نوليون رأوا أنه كثيراً ما تاق الى السلام ليمتع بهما انتصاره فكان يضطر الى الحرب رغبة منه في صون ما أحرز وظل هذا ديدنه حتى سقط بالسيف الذي طالما انتصر به

ويلاحظ ان المانيا لا تقفأ تنقل من حرب الى حرب فالى نحو شهرين ما كان يخطر لأحد — اذا استثنينا أمثال ونستن تشرشل من المطلقين — أن الحرب يمكن أن تقع بين المانيا وروسيا وقد عهدا الناس صديقتين حميمتين بينهما اتفاق وميثاق وصلات اقتصادية كادت تستر ما بينهما من خلاف في العقيدة الاجتماعية حتى قيل للناس أن المهر هتلر « لحسن » ما دونه في كتابه عن هذه الشيوعية التي عدّها خطراً عظيماً على أوروبا وسائر العالم ثم كانت المفاجأة التي أدهشت الناس والتي عقبها قصف المدافع وأزيز الطائرات في جو روسيا الحمراء

وقد يطول زمان الحرب وتعود فتنتقل من الميدان الشرقي الى الميدان الغربي وتعظم الخسارة في الارواح والاموال والسفن التجارية وترهق الشعوب المغلوبة على أمرها ولكن هذا كله سيصبح في خبر كان بعد زمان غير بعيد ويكتب الفوز للحضارة الصحيحة وتكون هذه الحرب بيلاياها ورزاياها منبهاً للبشر على ما في حضارتهم من خطأ وظلم وما في نظمهم الاجتماعية من فساد يجعل طبقات كثيرة في أعظم الأقطار خصباً ونتاجاً تعاني الفاقة والمرض والضنك في عالم كثير الخير وافر النعم في ظل ما يتبعجون به من حريّة وتعاون أو حريّة ومساواة واخاء شعاراً ينادون به ولا يعملون بموجبه

ولا تنتهي مشكلة الحرب بوضع أوزارها فقد ظلّ العالم يعاني عواقب الحرب الماضية حتى نشبت الحرب الحاضرة بل عجز عن تفريغ طائفة من أزماتها وحل جانب من عقدها وتبين

للعلماء ان جانباً كبيراً من الوسائل التي توسلت بها الدول الظافرة لاصلاح ما أفسدته الحرب لم يف بالمرام بل خيب الآمال التي عقدت به حتى لقد قيل أن الحرب الحاضرة انما هي وليدة الخطأ الذي عقب الحرب الماضية

فلا غرو اذا رأينا أقطاب الشعوب ينظرون من اليوم ويبحثون من الآن في ما تكون عليه الحال بعد الحرب الحاضرة وما يتعين الاضطلاع به لتسيير العالم في طرق النظام والعمل واجتناب الكوارث التي تعقب الخسارة العظيمة التي يعنى بها بفعل القتال والدمار الشامل الذي يزيد زيادة مطردة

أما الألمانيون فدعوا الى هذا النظام الجديد الذي وضعه المهر هتلر في كتابه والذي تأباه الشعوب الحرة لأنه يضعها في مراتب تأبى ان تكون فيها فقد تمتعت بالحرية والكرامة قروناً فلا يسعها ان تنسى هذا كله وبينها من قال اتنا نؤثر الموت وقوفاً على أقدامنا على الحياة راكعين على ركبتنا

يقابل هذا النظام النازي النظام الآخر الذي تدعو اليه الشعوب الحرة وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة ومعهما جمهوريات أميركا الجنوبية وبلدان الدومينيون والهند وهو النظام الذي وافق عليه ممثلو الحلفاء جميعاً ومعهم مندوبو فرنسا الحرة في المؤتمر التاريخي الذي عقد في يوم ١٢ يونيو الماضي في قصر سانت جيمس في لندن

وفي الواقع ان مشكلات السلم قد تكون أعقد من مشكلات الحرب ففي الحرب توجه القوى في انجاء واحد لأجل ادراك غرض واحد. اما في السلم بعد الحرب فيواجه المسؤولون مئات وألوفاً من المشكلات لاعادة أداة العالم الى موقفها السابق وتحويلها لتستطيع العمل الذي كفت عنه كذا شهوراً وسنوات

أما كيف يخرج العالم من هذه النار التي تصهره صهرًا فشيء لا يستطيع التكهن به الآن ففي بدء الحرب الماضية قال السر ادورد جراي وزير الخارجية البريطانية في ذلك العهد ان الحرب الاوربية سيتلوها نهضة اشتراكية عظيمة فكان ما قال بدليل ما حدث في روسيا واطاليا — قبل الفاشستية — وفرنسا وبريطانيا — فهل من يتنبأ لنا بما تكون الحال بعد هذه الحرب من الوجوهات الاجتماعية

محطة الاحياء البحرية

بالغردقة

لحامد عبد الفتاح جوهر
مدير محطة الاحياء المائية بالغردقة (١)

كانت الغردقة الى عهد قريب نقطة خاملة لا يعرفها أحد ، اللهم الا نفر من بحارة العرب أغلبهم من قبيلة جهينة . عرفوها لرفتها الطبيعي الجميل ، وقد حتمت سلسلة من الجزائر والشعاب المرجانية فجعلته صالحاً لرسو السفن حتى ما يبلغ منها عشرة آلاف طن أو يزيد . وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة الى نبات ملحي يكثر على شواطئ البحر الأحمر ويعرف بنبات الغردق واسمه العلمي *Nitraria tridentata* . كانت تشرف منه على مرفأ الغردقة أبكة (shrub) كبيرة . فكان اذا حدث صياد صاحبه قال له مثلاً « لنتقابل عند الغردقة » أو « كنت أصيد في جونة الغردقة » وهكذا حتى أصبحت علماً لذلك المرفأ . وحُرقت في العربية الداريجة فأصبحت الغردقة ، كما حُرقت بالافرنجية فأصبحت هَرَجِدَة Hurghada ثم نطقت هورجادا

وظلت الغردقة مهملة حتى كشفت الحكومة عن وجود طبقات بها تحتوي على زيت البترول فمهدت الى شركة الزيوت المصرية الانجليزية باستثماره في سنة ١٩١٢ . وبذلك بدأت أهمية الغردقة . وانشأت فيها قرية صغيرة يصلها بالسويس خط بحري منتظم يبلغ طوله نحو مائة وثمانين ميلاً بحرياً . ثم لم تمض بضعة سنين حتى مهد طريق صحراوي يصلها بقنا طوله مائتا كيلومتر . ومنذ نحو عشر سنوات مُدَّ طريق بري بينها وبين السويس على طول الساحل الغربي من خليج السويس ، يبلغ طوله ثلاثمائة واثنين وثمانين كيلومتراً

﴿ تاريخ انشاء المحطة ﴾ أما تاريخ المحطة نفسها فيرجع الى عام ١٩٢٨ ، حين فكَّرت كلية العلوم في إقامة محطة لدراسة الاحياء التي تعيش في البحار المصرية . وكان عليها أن تفاضل بين البحرين الأبيض والأحمر . ولأسباب سوف أبينها بعد ، وقع الاختيار على البحر الأحمر . درست كلية العلوم المشروع وأعدت رحلة لانتقاء أنسب بقعة لاقامة المحطة . وكاد ينفق المشروع

لتعذر وسائل التنقل في البحر لدى الجامعة ، لولا ان تفضل جلالة المغفور له ساكن الجنان الملك
فؤاد فوضع تحت تصرف الجامعة اليختين البخاريين « قوله » و « سقاريا »
وفي يناير سنة ١٩٢٩ أبحر على اليخت « قوله » هيئة من أساتذة السككية زارت بعض الموانئ
والجزر بالبحر الأحمر

﴿ انتقاء الموقع ﴾ كان لا بد أن تتوفر في المكان الذي ينتخب لإقامة المحطة بضع شرائط :—

اولاً — وفرة المادة العلمية من الاحياء البحرية وسهولة الحصول عليها

ثانياً — تنوعها

ثالثاً — بُعدها عن عبث الانسان او أي عامل آخر يمكن ان يؤثر في معيشتها الطبيعية

رابعاً — توفر اسباب الحياة للباحثين وخصوصاً في ساحل قفر مثل ساحل البحر الأحمر

خامساً — سهولة المواصلات بين القاهرة والمحطة

سادساً — وجود مرفأ طبيعي للقوارب الصغيرة التي تستعملها المحطة في بحوثها

وقد اكتملت هذه الشرائط أو كادت في جهة الفردقة . فانتخبت مكاناً للمحطة نقطة تبعد

نحو عشرة كيلومترات من مرفأ الفردقة نفسها . وبدأ في إقامة المحطة سنة ١٩٣٠

قد يسأل سائل : لماذا عنت كلية العلوم كل هذه العناية بالاحياء البحرية وما الذي حدا بها

الى ان تبذل كل هذا الجهد في إقامة محطة كهذه في أقاصي الحدود ؟

والواقع ان كلية العلوم إنما سارت في ذلك التقدم العلمي الحديث ، ونهجت نهج أمهات

الجامعات التي رأت من واجبها أن تعني بدرس البحار التي تغطي أكثر من ثلثي سطح المعمورة

عنايتها بدراسة اليابسة . وقد عنت بذلك الأمم المتحضرة منذ زمن بعيد ، فبعثت بعلمائها في بعوث

علمية يجوبون البحار ، ويسبرون اغوارها ، ويحللون مائها ، ويلاحظون تياراتها ورياحها ،

ويجمعون احياءها . حتى اذا عادوا بعد ذلك الى بلادهم عكفوا هم وغيرهم من أتباعهم على دراسة

ما جمعوا من معلومات ونماذج . ومن أهم هذه البعث ما قامت بها البواخر Meteor, Discovery,

Sibaga, Challenger, Magnaghi, Pola وأحدثها الرحلة الانكليزية الى الحاجز المرجاني

الاعظم ، ثم رحلتنا الباهرة المصرية « مباحث » في المحيط الهندي سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ وفي البحر

الاحمر سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥

وضعت هذه البعث الأسس الأولية لعلم الاقياوغرافيا او علم دراسة البحار ، كما أمطت

اللاثام عن حقائق كثيرة في تخطيط البحار ، وتركيب مياهها ، وتوزيع الحرارة والاحياء فيها.

ولا تزال حاجتنا ماسة الى الاكثار من هذه البحوث لكشف مجاهل البحار. لكنه من البديهي، لا تـسـمـكـن هذه البحوث التي تعمل عادة على ظهر سفن صغيرة ضيقة، ان تقوم بدراسات تفصيلية عن تركيب الأحياء، او طرق حياتها، ووظائف اعضائها وتكاثرها، وانتشارها في فصول السنة وما الى ذلك. ولهذا الغرض أقيمت المحطات العلمية على شواطئ البحار حيث يمكن تربية الأحياء المختلفة في الأكواريوم (السماءى)، ومراقبتها مراقبة دقيقة، ومتابعة جميع ما يتعلق بها، سواء من جهة التشريح أو وظائف الأعضاء، أو أثر البيئة فيها وغير ذلك. كما يمكن أيضاً دراسة جميع الظواهر البحرية، كالتيارات المائية والرياح، وتغير درجات الحرارة والمد والجزر، والأحياء المتعلقة بالماء والسباحة فيه، وما الى ذلك. وقد تبع إنشاء المحطات البحرية تطور كبير في علم الحياة بنوع خاص، فان الأحياء البحرية إذا قورنت بنظائرها في البر كانت في المكان الأول من الأهمية وترجع أهمية الأحياء البحرية الى الخواص الممتازة التي يتمتع بها ماء البحر. فليس للمواد المنتشرة على سطح المعمورة ما هو أكثر منه ملاءمة للحياة في أشكالها المختلفة — لذلك نجد جميع أقسام الأحياء ممثلة في البحار، بينما يقتصر قسم أو قسمان منها على البحر دون البر أو الماء العذب وهذه هي الحيوانات شائكة الجلد (الشوكيات) Echinodermata والميكدييات Ctenophora وزيادة على ذلك فاننا نجد في البحر أبسط الأنواع من كل القبائل تقريباً، مما حدا بعلماء التطور الى الرجوع الى الأحياء المائية لتدعيم نظرياتهم. كل ذلك يرجع الى الخواص الفيزيائية والكيميائية الهامة التي تميز ماء البحر والتي لا مجال لمجالسها هنا

(البحر الأحمر) والبحر الأحمر نفسه ذو أهمية علمية كبيرة في كثير من النواحي فهو ضيق عميق جداً، دافئ كثير التبخر لا تصب فيه أنهار ولا تجود سماءه بالمطر الا التندر اليسير فهو شديد الملوحة، ويتصل بالمحيط الهندي عند بوزاز باب المندب. الا أن مرتفعاً من القاع لا يزيد غوره على خمسين متراً شمالي باب المندب بنحو ستين ميلاً يفضل مياه الأغوار في البحرين بينما يسمح باختلاط المياه السطحية الدافئة

ومما يزيد في دفء مياه البحر الأحمر هبوب الرياح الموسمية في المحيط الهندي في الشتاء غرباً، دافعة اليه مياه المحيط الهندي السطحية الدافئة، في الوقت الذي تبدأ فيه درجة حرارة مياه البحر الأحمر في الهبوط، فتحول دون هبوطها، وبذلك أصبح هذا البحر أدفأ كثيراً من أي نقطة في البحار الأخرى على نفس خط العرض

كانت أهم نتائج خواص البحر الأحمر تلك : —

أولاً — أن تسربت أحياء المنطقة الهندوباسيفية الى البحر الأحمر عن طريق بوزاز

باب المندب

ثانياً — صادفت هذه الأحياء مياهاً دافئة فانتعشت وانتشرت شمالاً الى حدٍّ لم تبلغه في البحار الأخرى ، ومن أهم هذه الأحياء تلك التي تكوّن الشعاب المرجانية

ثالثاً — مياه القاع في البحر الأحمر أدفاً منها في أي بحر آخر إذ يبلغ متوسط درجة حرارتها نحو العشرين المئوية بينما درجة حرارة مياه القاع في المحيط نحو الصفر المئوي وسبب ذلك هو وجود الحاجز المرتفع من القاع شمالي باب المندب ، حائلاً دون تسرب مياه القاع الباردة من المحيط الهندي الى البحر الأحمر

رابعاً — لما كانت درجة حرارة مياه القاع في البحر الأحمر أعلا منها في أي بحر آخر كانت أحياء القاع مختلفة عنها في المحيط الهندي وغيره من البحار ، أو بعبارة أخرى كوّنت أحياء القاع في البحر الأحمر مجموعة خاصة به ، سوف يكون لدراستها شأن عظيم من الناحية العلمية

﴿ البحر الأبيض ﴾ تلك هي خواص البحر الأحمر الهامة فلنقارنه إذاً ببحرنا الآخر — البحر الأبيض

يتصل البحر الأبيض بالمحيط الأطلنطي ببوغاز جبل طارق ومنه تسربت أحياء المحيط الأطلنطي الى هذا البحر . وهذا البوغاز أكثر غوراً من الحاجز بين البحر الأحمر والمحيط الهندي . لذلك كانت درجة حرارة مياه القاع في البحر الأبيض أبرد منها في البحر الأحمر إذ تبلغ نحو ١٣° مئوية

أحياء البحر الأبيض إذاً من أحياء المحيط الأطلنطي ، وقد أوسعها العلماء بحثاً منذ أجيال كثيرة ، وتقوم في تلك المنطقة محطات عديدة في البحر الأبيض وفي المحيط الأطلنطي على الشواطئ الأوروبية والأفريقية والأميركية ، وعندنا منها معهد فؤاد الأول للأحياء المائية التابع لمصلحة مصائد الأسماك

لست أقول أننا نعرف الكفاية عن البحر الأبيض ، فما يزال هذا البحر مجهولاً في كثير من نواحيه . ولكن هناك نشاطاً لا بأس به لدراسته . أما بحرنا الآخر البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فلم تكن فيهما محطة واحدة تعني بدراستهما ، مع أن أحياء هذين البحرين أكثر تنوعاً من أحياء المنطقة الأطلنطية ، ولا يزال نجهل الحياة فيهما ، اللهم إلا القليل مما كشفته البعوث العلمية القليلة

لذلك صحت عزيمة كلية العلوم على اختيار البحر الأحمر ، فأقامت بالغرقة محطة واسعة الأرجاء بها عدد من المعامل ، زوّدت بأحدث الأجهزة العلمية ومّرابٍ على أحسن الأساليب لتربية الأحياء البحرية ، فأصبح بذلك في متناولنا ، في منطقة معتدلة الجو قريبة من جميع

الايواسط العلمية العالمية، أن ندرس أحياء المناطق الحارة التي لم يكن في وسع الإنسان ان يدرسها
الأبشوق النفس

(الاعداد العلمي للمحطة) وقد أعدت المحطة للبحوث العلمية على أحدث النظم وزودت
بكل ما تحتاج اليه دراسة الاحياء البحرية حية في موطنها الطبيعي، أو في المرابي بحيث تها لها
فيها كل الظروف الطبيعية بقدر الامكان. وفي الحقيقة لم تكن المرابي وافية تماماً من هذه الناحية
الا أننا تمكنا من تحسيتها تدريجياً. وبدراسة الاحياء المختلفة عن كتب أمكننا أن نتجح في تهيئة
أسباب الحياة لعدد كبير من الأحياء البحرية في المرابي مدداً طويلة

وكل معمل من معامل المحطة مزود بالمرابي الثابتة المبنية من الاسمنت وأخرى قابلة للنقل
صنعت من هيكل من الحديد المطلي وقاعدة من الاردوز وجوانب من البلور بجري في كل
هذه ماء البحر في تيار مستمر يكفل تغير الماء وتهويته مع إمداد الأحياء بما تحتاج اليه من
الغذاء من الكائنات الدقيقة المعلقة في ماء البحر

وأغلب المحطات البحرية المقامة بالقرب من الجهات الآلهة بالسكان لا يمكنها استعمال ماء
البحر القريب من الشاطئ لتربية الاحياء في مرابيها. بل تضطر عادة الى جلب الماء اللازم
لذلك من وسط البحر على بعد عدة أميال، حيث يضمنون نقاءه. ولما كانت كمية المياه التي
يمكنهم إحضارها بهذه الطريقة محدودة لاحتالة، اضطروا الى جمعها وتنقيتها بعد الاستعمال وإعادة
استعمالها مرات عديدة. ومهما تكن العناية بتنقيتها عظيمة فلا يمكن أن تصل الى درجة نقاء ماء
البحر الطازج. أما محطتنا بالفردقة فتمتاز بأن مياه البحر تحت المعامل مباشرة نقية رائعة النقاء
لا يشوبها شيء. فليس بنا من حاجة الى جلبها من وسط البحر، أو خزنها لتعيد استعمال شيء
منها، بل لا نحتاج الى ترشيحها ونستعمل ماء البحر طازجاً فيوضع في صهرج عالٍ يملأ مرتين في
اليوم، في الصباح وفي المساء ويرفع اليه الماء من البحر بمضخة مبطنة بالحزف وينساب منه الى
أحواض التربية في أنابيب من الباغة (Celluloid) هيئت بصنابير من الباغة أيضاً. وبذلك
لا يتصل الماء في طريقة من البحر الى المرابي بأي معدن كان وغير خاف أثر المعادن في ماء البحر
إذ تذوب فيه فتقتل الأحياء التي تعيش به. وقد دلت التجارب العديدة التي أجريت على تربية
أنواع مختلفة من يرقان حيوانات عديدة على تمام صلاحية الماء ونقاؤه. وتعذر حفظ بعض
الأحياء داخل المعامل فتبين أن حاجتها الماسة الى ضوء الشمس المباشر هي السبب الأساسي في
ذلك. فأقيمت بعض المرابي في الخارج معرضة للشمس والهواء الطلق فازدهرت فيها تلك الأحياء
والمحطة مزودة بجميع المعدات لجمع النماذج. بها لنش متوسط الحجم، ومراكب شراعية

وقوارب تسير بالمجذاف وتركب بها ما كينة صغيرة عند الحاجة ، وهواري (قوارب منحوتة من جذوع الشجر) ومعدات الصيد كالشباك من مختلف الأنواع والجرافات وأجهزة سبر الأغوار وجمع نماذج من رواسب القاع وماء البحر من مختلف الأعماق ، وأجهزة الفوص ، وغير ذلك من الأجهزة العلمية لدراسة كل ما اتصل بالاحياء البحرية

(أعمال المحطة العلمية) انه وإن كان قد مضى على البدء في انشاء المحطة ما يذيف على عشر سنوات إلا أنها لم تتم للآن . ولكنها على الرغم من ذلك قد حققت كثيراً من الأغراض الهامة المنوطة بها مما يشجع على زيادة الجهد في إتمامها وإتمامها وقد غنيت المحطة بالبحوث العلمية بنوع خاص فعكف عليها أعضاء المحطة العلميون ، كل فيما اختص به ، وساعدوا كثيراً من أعضاء جامعتها الذين وفدوا الى المحطة للقيام بأبحاث اجتنبهم اليها ما تمتاز به أحياء البحر الأخر من الأهمية العلمية . وقد كانت جهودهم جميعاً موفقة أحسن التوفيق فأسفرت أبحاثهم عن نتائج هامة أكبرتها الأوساط العلمية العالمية التي لم تتأخر في السعي الى المساهمة في هذا العمل العلمي فنجح الى المحطة عدد من العلماء من إنجلترا وفرنسا وأميركا والدنمرك وبولندا وغيرها ولم تال المحطة جهداً في تشجيع ذلك حتى أصبحت عاملاً هاماً في توثيق أو اصر الصلات الثقافية والعلمية بين مصر والبلاد الأجنبية . وكذلك أصبحت المحطة أهم معهد للاحياء البحرية في المنطقة الهندوباسيفية ولم تدع كلية العلوم فرصة وجود العلماء الأجانب بالمحطة تمر دون أن تفتتح بخبرتهم الواسعة فقررت تيسير زيارتهم وان يتدرّب معهم أثناء إقامتهم بالمحطة بعض أعضاء الكلية الناشئين ولا شك في أن في ذلك فائدة لا يستهان بها وفي أول الأمر كانت تنشر النتائج العلمية بواسطة الهيئات العلمية الأجنبية . ولكننا الآن ننشرها في نشرات خاصة بالمحطة صدر منها الأجزاء الثلاثة الأولى . وتبادل المحطة هذه النشرات مع ما يقرب من ثلثمائة معهد علمي وتتلقى مقابلها عدداً كبيراً من نشرات هذه المعاهد وقد أخذت المحطة قسطاً من تدريب طلبة السنة النهائية في كلية العلوم إذ كانوا يفدون عاينها في عطلة الشتاء . ولا شك انهم كانوا يكسبون خبرة اساسية لهم للتعرف الى احياء المياه المصرية . إلا أن حالة الحرب الحاضرة حالت دون حضورهم العامين الاخيرين ولا نخال إلا أنه سيأتي يوم قريب تدرس فيه الأحياء البحرية المصرية من الوجهتين النظرية والعلمية كفرع أساسي من علوم الحياة اسوة بالجامعات الأجنبية وتقوم المحطة بصيدها في نشر الثقافة الخاصة والعامة . فقد فطن كثير من المعاهد المصرية الى

أهمية هذه الدراسة فأوفدوا بعض أعضائها فنظمت المحطة لهم دراسات علمية وعملية مناسبة . وقد كان لمدرسي التاريخ الطبيعي بوزارة المعارف وكلية الزراعة نصيب وافر منها . وانه لما يقتبط به حقاً أن نرى مدارسنا الثانوية قد بدأت تعني بتربية ابنائها تربية علمية استقلالية صحيحة تساعد على التعرف الى انحاء وطنهم وموارده الطبيعية . وقد كان للبحر الأحمر والغردقة نصيب كبير . ويسر المحطة ان تبذل ما في وسعها لمساعدة هذه الرحلات وانجاحها

ولم يكذباً إنشاء هذه المحطة ينتشر في الأوساط العلمية العالمية حتى وفد عليها عدد من العلماء من الأقطار المختلفة في اوربا وأميركا ليحققوا أمنية طالما حاموا بها . تلك الأمنية هي دراسة الشعب المرجانية . والحق ان من بمضي بالغردقة بضعة ايام ليكتسب خبرة واسعة عن حياة النبات والحيوان باستجيل عليه فقدها . ويظهر ان الانسان في بادىء الأمر يشده ما يرى من جمال الأشكال وروعها ، ولكنه لا يلبث ان تستغرق تفكيره العلاقات المعقدة بين الأحياء المتعددة في اشكالها المتباينة . وفي الحقيقة ان في تنسيق الشعب المرجانية وزخرفها ما يبعث على لذة تستهوي كل من يراها ، فهي حقاً حدائق الماء فيها أشجار من المرجان وأزهار من مختلف الحيوان وأطياف من الأسماك وأنهار من الرمال . جميلة حقاً هذه الشعب المرجانية . ولكنها في حياتها معقدة أيما تعقيد . إنها لتولد وتكبر وترعرع ثم تهرم وتموت ، وهي في كل طور من هذه الأطوار تلعب بلب العالم الذي يحاول التعرف الى ما يكتنفها من أسرار ، وما تحويه من مختلف الحيوان والنبات ، التي يتطلب الكثير منها دراسات طويلة وبحوثاً متواصلة

وكيف تعيش هذه الأحياء وقد النصقت واحدها بالأخرى ، آلاف مؤلفة منها في بقعة صغيرة من البحر كأنما حشرت فيها حشراً ؟ هذه مسألة من المسائل التي تواجه الأحياء التي تعيش في الشعب المرجانية ، وقد حلها الأحياء المختلفة بطرائق مختلفة . ولعل أهم هذه الطرائق طريقاً التعاون والمعايشة (حياة التكافل) ، حيث يعيش نوعان أو أكثر من الأحياء معاً ويتبادلان المعونة ، وأحسن مثل لذلك هو مرجان الشعب نفسه . فالمرجان حيوان من قسم الجوفعويات . يتكون من كيس رقيق يفرز خارجه كأساً جيرية ، ويتكاثر بالتبرعم ، وتظل سلالاته متلاصقة مكونة مستعمرات ، يختلف شكلها حسب نوع المرجان . ويعيش داخل أنسجة حيوان المرجان نباتات دقيقة تتعاون مع الحيوان على حل مشاكل الحياة ، فتأخذ ثاني أكسيد الكربون الذي يفرزه الحيوان وتستعمله في تمثيلها الحضري وتعطيه بدلاً منه الأكسجين . ومن بين افرازات الحيوان ما هو نافع للنبات مثل الفوسفات والأزونات وغير ذلك فتأخذها هذه النباتات لغذائها ، وتخلص الحيوان منها ، وبذلك أمكن ان يعيش المرجان مزدحماً في مناطق ضيقة . وهناك من

الحيوانات ما اعتمد كليةً على النباتات التي تعيش في أنسجته ، فاستغنى عن اقتناص قوته وفقد بعض أعضائه الهاضمة

وتوجد هذه النباتات في كثير من الحيوانات الأخرى التي تعيش في الشعاب المرجانية مثل بعض الاسفنجيات وكثير من الأنيمونات (الشقائقيات) sea anemones والمرجانيات اللينة المازوريات Alcyonaria (soft corals) والهديات hydroids وبعض الديدان المفلطة الطليقة Turbellaria وقليل من الرخويات Mollusca وبعض قرب البحر الصفنيات ascidians. وتختلف النباتات نفسها في أنواعها وفي الدور الذي تلعبه مما لا مجال لذكره الآن

أما المعاشية (حياة النكافل) فهي صلة أقل توثقاً من التعاون ، ونراها كذلك في كثير من حيوانات الشعاب المرجانية

ولعلّ أظهر مثل لها معاشية الأنيمون (شقائق البحر) sea anemones لبعض أنواع الأسماك . في البحر الأحمر ثلاثة أو أربعة أنواع من مرده الأنيمون giant anemones ، قد يزيد قطر القرص الفموي oral disc في بعضها على ثلاثين سنتيمتراً . وتعيش هذه ملتصقة على الصخور في الشعب المرجانية ، لا تتحرك من مكان لا آخر إلا غراراً ، وفي كثير من البطء . بينما قد لا تكاد تغير موضعها سنين عدداً . وتسكن هذه الأنيمونات من جسم اسطواني أجوف رقيق الجدار جداً ، يلتصق الى الصخور بسطحه الأسفل او ما يعرف بالقدم ، بينما يمتد طرفه المقابل في عدد كبير من الزوائد الجوفاء ، قد تكون صغيرة كالحيبيات او طويلة كبيرة في حجم أصابع الانسان وحينئذ تكون سهلة الحركة ، بين ثثن وتمدد وانكماش . وتعرف هذه الزوائد باللوامس لحساسيتها وسرعة إستجارتها . وتكثر فيها الخلايا اللاسعة فضلاً عما تفرزه من مادة لزجة تلتصق كل ما يسوقه نكند الحظ ان يلمسها من الحيوانات الصغيرة ، فتوسعها لسعاً حتى الموت ، ثم تزج بها في فمها الذي يوجد في وسط القرص الفموي بين اللوامس

وتتميز الأسماك الصغيرة هذه الأنيمونات بغيرزتها ، فتبتعد عنها اتقاء شرها ، إلا بضعة أنواع قليلة يوجد منها ثلاثة في البحر الأحمر ، على ما نعرف ، اعتادت صحبة هذه الأنيمونات فاصطفتها الأخيرة لنفسها ، لا تلتصقها ولا تلمسها ولا تحاول إبداءها بأية طريقة من الطرق ليس هذا فحسب ، بل يعيش أحدهما مع الآخر عيشة التآزر والتساند لحل ما يصادفهما من الصعاب . وقد بلغ من ملازمتها أننا ما نجد الأنيمون إلا ومعه سمكتان أو أكثر من أحد هذه الأنواع أو اثنين منها أو ثلاثها جميعاً ، وما نجد إحدى هذه الأسماك الا وتعيش مع

الأنيمون . وإن كان في وسع السمكة أن تعيش بمزل عن الأنيمون ، والأنيمون بمزل عن السمكة لو حيل بينهما . وتسمح هذه الاسماك نهراً على مقربة من الانيمون ولا تبعد عنه كثيراً فإن أوجست خيفة هربت اليه ، واحتمت بين لوامسه اللاسعة بأمن من اعدائها . كذلك تأوي بين هذه اللوامس كلما جنّ الدجى حيث ترقد آمنة هائلة . ونحزي السمكة الأنيمون عن هذه الحماية بمساعدته في اقتناص قوته ، فاذا ما ساق سوء الحظ حيواناً بحرياً صغيراً إلى مس لوامس الانيمون ، لسعه هذا وشل حركته ، ولكنه قد يسقط بعيداً عن الأنيمون ، وحينئذ تسرع السمكة اليه وتعيده إلى مضيقها المقعد

وهذا مثل آخر للمعايشة (التكافل) لا يقل طرافة عن سابقه . يشترك فيه نوع آخر من الأنيمونات مع نوع خاص من السرطان للناسك Hermit crab . ويأوي هذا السرطان ، ككثير من الانواع المشابهة ، الى محارة خالية من محار الحيوانات الرخوة فيحتمي بها من بعض أعدائه ، لا يفارقه الا اذا كبر إلى حد لم تعد بعده تناسبه ، فيبحث عن أخرى أكبر منها فينتقل اليها

إلا أن هذا النوع لم يكتف بالوقاية التي يكتسبها من المحار ، إذ بين أعدائه ما يمكنه حرج المحارة وازدرادها بما فيها ، فاستعان على ذلك ببعض الأنيمونات الصغيرة يلصقها على ظهر المحارة حتى يغطيها بها وبذلك لا يجزو أعداؤه على الفتك به . وتستفيد الأنيمونات من هذه الوقاية ، بأن ينقلها السرطان من مكان الى آخر فيسهل عليها البحث عن قوتها ، ولا تتعرض للردم برواسب البحر . وعند ما يكبر السرطان ويغير محارته ، ينقل الأنيمونات من المحارة القديمة ، ويلصقها بالمحارة الجديدة

ولا يوجد السرطان أو الانيمون من النوع الخاص في الطبيعة منفردين ولكنهما متلازمان دائماً

إن موضوع المعايشة بين أحياء الشعب المرجانية لموضوع طويل جداً يشمل جميع الأحياء التي تعيش في الشعب تقريباً ويستدعي بحثاً طويلاً لذلك أكتفي الآن بهذا القدر



هناك شيء آخر أحب أن أشير اليه . إن في البحر الأحمر لثروة علمية كبيرة من هذه الأحياء ، وتعني المحطة أكثر العناية بدراسة حياتها في الاكواريوم المسائي ونأمل أن يأتي يوم يقام في كل من القاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن الكبيرة أكواريوم تعرض فيه هذه الأحياء

أسوة بما هو متبع في البلاد الأخرى من الأمم المتحضرة ولا شك أن لمثل هذا المشروع فائدة ثقافية كبيرة. إذ يهيئ للشخص العادي، دون أن تبلة قطرة ماء، أن ينعم بمناظر لا يراها إلا الغواصون، فيرى شتى الأحياء المائية. وقد عرضت أمامه في بيئة تشبه بيئتها الطبيعية، فاما سباحة في الماء أو ثابتة في قاع البحر بين الصخور أو بين الحيوانات المرجانية أو غائصة في رمال القاع، فلا يظهر منها إلا الرؤوس أو أجهزة التنفس، أو ما إلى ذلك

ولما كانت الأحياء التي تعيش في البحر الأحمر تنفرد بجمالها المميز أو غرابتها مع تباين أشكالها وألوانها كان هذا كفيلاً أن يستهوي الخاصة والعامة إلى المشاهدة والتفكير في حقيقة هذه الأحياء وطرائق حياتها. وفي هذا ما فيه من الثقيف والارتفاع بمدارك الشعب وتقوية ملاحظته وقوة تفكيره وتذوق شتى نواحي الجمال في كل ما يحيط به

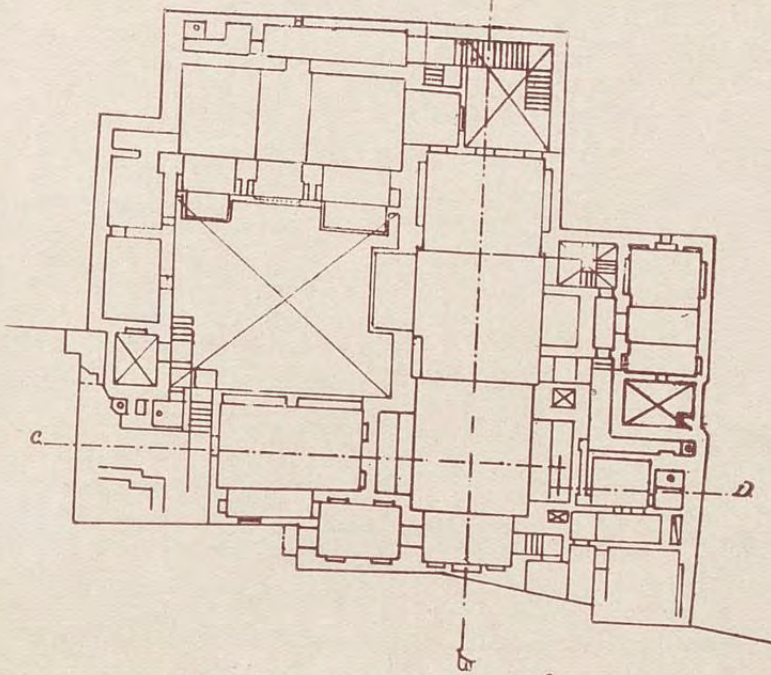
وليس بعد القاهرة أو بعض كبريات المدن المصرية عن البحر بمائق عن إقامة الأكواريوم للأحياء البحرية، فإن في مياه البحر الصناعية ما يغني عن الطبيعية وقد دلت تجارب ثمان وعشرين سنة في أكواريوم برلين على أن مياه البحر الصناعية لو أضيف إليها قليل من مياه البحر الطبيعية لصلحت لتربية الأحياء البحرية تماماً

ولا نعرف بالضبط ما هي المادة التي توجد في مياه البحر الطبيعية والتي لا غنى للأحياء البحرية عنها، وكل ما نعرف عنها أنه بدونها تمرض الأحياء البحرية سريعاً في ماء البحر الصناعي. ويمكن مقارنة فعلها بفعل الفيتامينات في الطعام

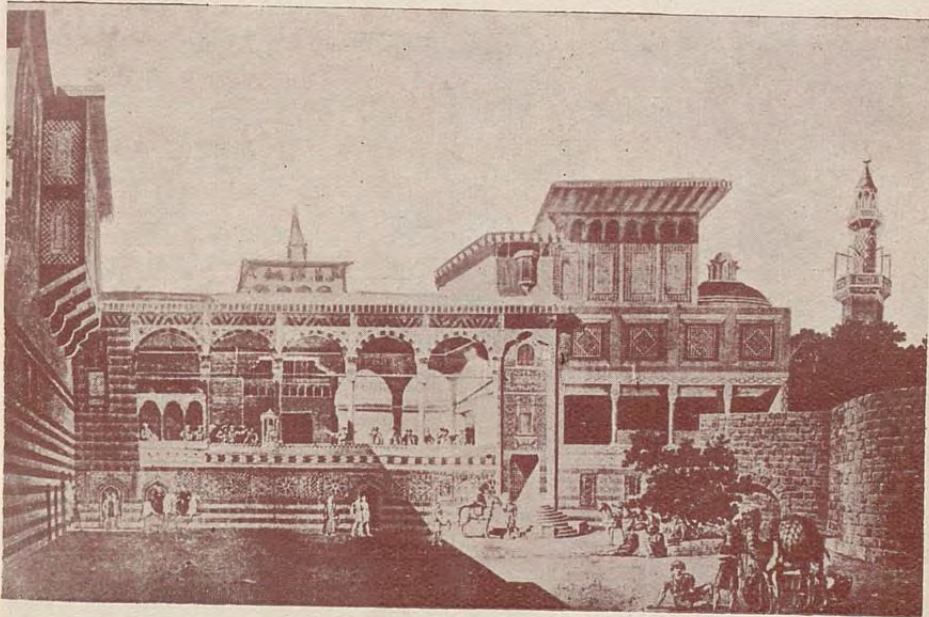
وفي أكواريوم برلين بدى بمياه البحر الطبيعية. ومن وقت لآخر — كل ثلاثة أشهر تقريباً — يلقى بنصف الماء ويضاف إلى النصف الباقي كمية مساوية من مياه البحر الصناعية وهكذا. أي أنهم لم يستعملوا ماء البحر إلا في أول الأمر فحسب

وكما تقتقر مدن القطر المصري إلى الأكواريوم تقتقر كذلك إلى متاحف التاريخ الطبيعي. هذا رغم أن لمصر من أحيائها البرية والبحرية ومعادنها ومنتجاتها ثروة عظيمة تكفل لنا متاحف تنافس المتاحف العالمية

وقد حاولت كلية العلوم في السنوات الأخيرة إقامة متحف للتاريخ الطبيعي إلا أن العقبات المالية لا تزال تقف في طريقها وعند ما يخرج هذا المشروع إلى حيز التنفيذ سيكون للمحطة القسط الأوفر من تمويل المتحف بالنماذج المختلفة العديدة



مسقط أفقي للطابق الرئيسي لبيت زينب خاتون



فناء منزل عثمان بك من رجال المماليك « القرن السابع عشر »

الدار الإسلامية

في مصر

للصاغ عبد الرحمن زكي

لسنا بحاجة الى القول بأن أصول الرياسة لم تكن معروفة في بلاد العرب قبل الاسلام اللهم اذا استثنينا اقاليم اليمن وغسان والحيرة حيث قامت مدنيات قديمة قبل الاسلام . فقد كان العربي على معرفة بسيرة بطن البناء . ولم تكن اما كن العبادة في بلاد العرب سوى افنية مربعة صغيرة يحوطها اربعة جدران لا يزيد ارتفاعها على ثلاث أذرع . وهذه بالطبع لا تعد من أعمال الرياسة بالمعنى المفهوم منها . والمعلوم ان العرب لم ينقلوا الى البلدان التي أخضعوها اسلاطنتهم أي أثر لرياسة عربية . ففي ذلك الوقت كان العرب الرحّل يؤفون تسعة اعشار سكان البلاد العربية . وربما كانت الخيمة المصنوعة من الشعر مسكنهم الوحيد . والبدوي لا يطبق العيش داخل غرفة مغطاة بسقف لانه شاعر بطبيعته يرتاح الى تسريح طرفه في السماء وهو مستلق على ظهره في العراء أو داخل خيمته ذات الغطاء غير المحكم . . . ولذا فهو يحس بالضيق بل يكاد يعتبر نفسه سجيناً أو في فتح أو شرك اذا ما سكن في غرفة

ولو أن الدين الاسلامي الجديد الذي بزغ نجمه في شبه الجزيرة العربية بقي في ربوعها ولم ينتشر في الأقاليم المجاورة لما أصبح للرياسة^(١) الإسلامية ذلك الأثر العظيم من الجمال والكمال . ولما كنا نرى الفن الاسلامي الرائع في اسطع صورة يحتل مكانة سامية في ميادين النشاط الفني الذي ابتدعه البشرية

والواقع ان الصانع المسلمين او الذين عملوا بارشاد الراثر المسلم أبدعوا في بناء منشآتهم وزخرفتها بما يتفق تماماً مع طبيعة عقيدتهم الدينية ووقار دينهم الخفيف وما يسار طقوس عبادتهم ولقد وصف كتاب السيرة دار سيدنا محمد في المدينة وصفاً دقيقاً نستنتج منه أن هذه الدار كانت في أول الأمر تشتمل على فناء مربع الشكل تحيط به جدران اربعة مشيدة من اللبن وبلغ ارتفاعها ثلاثة امتار ونصف متر . واشتمل احد الجوانب على صفة كان النبي يؤم فيها

(١) المقتطف : — وضعنا هنا كلمة الراثر بدلا من كلمة المعمار والرائز والراز رئيس البنائين وجمعه رازة . والرياسة هي فن هندسة البناء

المصلين وكان لها سقف من جريد النخل المغطى بطبقة من الطين والقائم على عدد من جذوع النخل . وكان للدار ثلاثة ابواب . وفي الجانب الخارجي من الجدار الشرقي شيدت حجرات لزوجات النبي اربع منها من اللبن وخمس من الجريد المطلي بالطين والى الجانب المقابل للظلة مأوى صغير كان ملجأ فقراء المسلمين الذين تبعوا النبي من مكة

فاذا أنعمنا النظر في شكل الدار الاولى للنبي عرفنا ما كان عليه رسول الله من القناعة والزهد ووقفنا على بساطة فن البناء في صدر الإسلام وعلمنا ايضاً ما كانت عليه الدار الإسلامية الاولى وما تقدم زى أن ابن خلدون كان محقاً في ما كتبه حين قال « كان الدين في أول الأمر مانعاً من المغالة في البنيان والاسراف فيه في غير قصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تغالوا في البنيان والزموا السنة تلممكم الدولة ^(١) »

فتح العرب لمصر

وأراد عمرو بن العاص بعد فتح مصر ان تبقى الإسكندرية كما كانت عاصمة البلاد فلما أبى عمر بن الخطاب عليه ذلك ترك عمرو مسألة الإسكندرية وشرع في تخطيط مدينة جديدة أمر بإنشائها بالقرب من قصر الشمع حصن الحامية الرومانية — في المكان الذي حط فيه الجنود المسلمون رحالهم . وضرب عمرو بالقرب منه فسطاطة قبل رحيله لفتح الإسكندرية قام بتخطيط الفسطاط أربعة من زعماء الجند يمثلون قبائلهم فقسموها الى اخطاط اتخذت كل قبيلة لنفسها خطة منها . وفي خلال عام واحد تمت تلك المدينة بسرعة عجيبة وكنا لانعرف شيئاً عن تفاصيل البناء الذي اقامه المسلمون في الفسطاط الى أن تم كشف أنقاضها في حفائر دار الآثار العربية فظهرت بيانات كثيرة عن عمارة الفسطاط ولا سيما شكل تخطيطها وعدد دورها لقد كشفت حفائر الفسطاط دوراً كثيرة لها أبنية متوسطة الحجم وظهر منها أن الغرف في كل دار كانت تحيط بالحوش في نظام مماثل لما في الدور الأخرى اللهم إلا في احوال نادرة . وكانت جميع هذه الدور على نظام هندسي قائم على محورين يلتقيان في وسط حوش وتختلف الغرف المحيطة به في المقياس والنسب . وفي كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات تختلف في الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى وهي أوسع من الفتحتين الجانبيتين ويفصلها عنهما كتفان مبنيان بالأجر . وفي سمت الرواق القاعة وتكتشفها من جانبيهما حجرتان صغيرتان منفردتان عنهما . وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش في محور كل جانب ايوانات تختلف في الامتداد

(١) الفصل الثامن من الباب الرابع في مقدمة ابن خلدون « في ان المباني والمصانع قابلة في الملة الإسلامية بالنسبة الى قدرتها والى ما كان قبلها من الدول »

الى الداخل فتتكوّن منها قاعة وطوراً وهو الاغلب ايوانات صغيرة او صفف . ويلاحظ في الرواق ذي الفتحات الثلاث الذي يمر منه الداخل الى الغرف المهمة من السكن أنها شرقية وفي بعض الأحيان تكون غربية . وكانوا يتجنبون الجنوب كما يتجنبون الشمال وكانت أهم مشتملات دار الفسطاط الأجزاء الآتية :

ا — الحوش ويتوسط الدار وهو غير مسقوف ومقاسه في الغالب بين أربعة وخمسة أمتار مكشوف ليتوفر للقاعة الكبيرة النسيم والنور

ب — الرواق والقاعة . هما المحلان المهيان في الدار — ويلاحظ ان هذا النظام في الدور لا يزال باقياً حتى الآن في مدن اسبانيا الجنوبية وفي شمالي افريقيا وفي عدة جهات من العالم الاسلامي . وقد وجد منذ بدء الفن الاسلامي في الاخضر وفي سامرا كما زاء في قصر ست الملك ^(١) قبل أن يضم الى مارستان قلاوون ^(٢)

ج — الايوانات وهي من المميزات الريازية التي ترافق الحوش حيث يسهل التنقل فيها من محل الى آخر على حسب الفصول وساعات النهار

ومن المحتمل ان باب الدار لم يكن في اتجاه محور من المحاور ويظهر ان الدركاة او الدهليز الذي يؤدي الى الباب كانت على شكل مخدع وان كان ذلك لم يستتج من الحفائر وانما هو من القواعد العامة التي كانت متبعة في المباني الاسلامية في كل العصور والغرض منه حجز ما يجري في الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج

لم تكن منازل العرب في أول الأمر بمدينة الفسطاط تحتوي الا على طبقة واحدة أرضية وقد قيل ان أول من بنى غرفة ذات طنف بالفسطاط هو « خارجة بن حذافة » فبلغ عمر ابن الخطاب أمرها فكتب الى عمرو « ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريراً واقم عليه رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كوتها على عورات جيرانه فاهدمها » ففعل ذلك عمرو ^(٣) . ولما وجدها غير ضارة أقرها فأخذت البيوت تتسع كما أخذت عمارة المدينة تزدهر وتزداد حتى فاقت مدينتي البصرة والكوفة ^(٤)

وعليها أن نقرأ بتحفظ رواية الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر . فقد ذكر ان بعض دور الفسطاط كانت مكونة من اربعة عشر طابقاً . فلو فرضنا ان هذه الطبقات كانت

(١) دار ست الملك بنت العزيز لدين الله تزار واخت الحاكم بأمر الله . وسكن هذه الدار في الدولة الايوبية مؤنسة بنت الملك العادل ابن بكر بن ايوب ثم الامير نجر الدين جها ركس صاحب القيسارية بالقاهرة ثم سكنها الملك الأفضل قطب الدين حتى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها . ولسكن قطب الدين الايوبي بها سميت الدار القطبية (٢) المصدر السابق (حفرات الفسطاط) ص ٩١ (٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٦ (٤) القاهرة الجزء الاول ص ١٤ — للبلازم الاول عبد الرحمن زكي — عام ١٩٣٢

ذات ارتفاع قليل لكان ارتفاع البيت يقرب من خمسة وثلاثين متراً على أقل تقدير ولكن رواية ناصر خسرو قد تكون دليلاً على أن بيوت المدينة كانت طبقات (١)

كما أنه قد وصل البناء لبعض المنازل أسطحاً واطئة جداً (٢) ومن البديهي أن المدينة لا تكون أبينها كلها على طراز واحد فتكون فيها الفنادق والرباع وكانوا يشيدونها في الجهات المزدهمة بالمناجر على ضفاف النيل وبجانبيها الدور ومن بينها ما يكون مخصصاً لأسرة واحدة

ولقد أثبتت حفريات الفسطاط أن بعض الدور كان لها حوشان منفصلان بحيث أمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها. ومن المحتمل أيضاً أن يكون أحدها مخصصاً للرجال والآخر للحريم، وإن كنا لم نوفق حتى الآن إلى معرفة الحالة الاجتماعية التي كان يعيش فيها النساء في أوائل الفتح الإسلامي وفي العهدين العباسي والطولوني. وعلى كل حال فالمعروف أن الغرف لم تكن معدة لغرض مخصوص كما تطورت الحال فيما بعد وفي بيوتنا الآن (٣) فإن القاعة الكبيرة والرواق والاواوين والصحن كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين تبعاً لأوقات النهار والفصول

ونحن إذا استثنينا بعض الدور الإسلامية التي كشفها المرحوم الاستاذ علي بك بهجت في الفسطاط بين سنتي ١٩١٢ و ١٩١٩ لا نعرف آثاراً أخرى تقف منها على نظام الدور التي سكنها الولاة والحكام الامويون والعباسيون وهذه المنازل التي كشفت في الفسطاط من المحتمل جداً أن نرجعها إلى عهد العباسيين والطولونيين. وقد بلغت الفسطاط في ذلك الحين غاية في القدر والثراء. والواقع أن الموازنة بين أبنية الفسطاط وأبنية سامرا وجامع ابن طولون ثم أوجه الشبه بين الزخارف التي كانت تحلى بها بعض واجهات الدور في الفسطاط والزخارف المنقوشة على بعض شواهد القبور في القرنين الثالث والرابع الهجريين كل ذلك يرجح أن معظم أبنية الفسطاط كانت من عصر الدولتين العباسية والطولونية (٤)

ومن الخطط المقرنبة عرفنا وصف القصر الذي شيده احمد بن طولون وابنه خواروبه في القطائع بعد أن خربت وحيت آثارها من الوجود (٢٩٢ هـ - ٩٠٥ م) على يد محمد بن سليمان الكاتب (الخطط ج ٢ - ص ١٠٦). ولا حاجة بنا إلى هذا الوصف العام الذي أورده المؤرخ المقرنبي عن هذا القصر. فهذا الوصف لا يعيننا البتة على معرفة نظام هندسته وتوزيع غرفه الداخلية أو أجزائه الرئيسية وارتفاعها وسعتها. الخ. مما يساعدنا على إثبات نقط واضحة في هذا الموضوع. والخيال أيضاً لا يصل بنا إلى شيء حاسم

(١) حفريات الفسطاط ص ٩٤ للمرحوم علي بك بهجت (٢) المصدر السابق ص ٩٤ (٣) المصدر السابق ص ٩٦ (٤) ذكر ابن دقاق في وصفه دور معمر اسماء عدة من الغرف والحال التي يشتمل عليها المسكن فأورد المجلس والبالذهنج والمستشرق والهودج والطارمة (ابن دقاق ج ٤ - ص ١١٨) راجع أيضاً المقال النفيس «أقدم دار إسلامية في مصر» بقلم المرحوم الاستاذ حسن محمد الهواري المنشور في مجلة الهندسة بالعدد ١٠ و ١١ و ١٢ عام ١٩٣٥

أقصر دار إسلامية في مصر

وفي عام ١٩٣٢ وفق المرحوم الأستاذ حسن الهواري إنشاء أشرفه على حفريات الفسطاط الى العنور على جزء من دار أمكنه تحديد عصرها لكثرة الزخارف التي على جدرانها . وهذا الجزء عبارة عن القسم القبلي على دار تشبه في نظامها الهندسي أغلب الدور المكتشفة في مدينة الفسطاط . ويشمل قاعة كبرى يزيد طولها على عرضها وتكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان وأمام القاعة والحجرتين رواق كان له كنفان باقية أحدها وهي الشرقية يفصلانه عن فناء الدار . وفي بحري الفناء بركة ماء (فسقية) مربعة الشكل . وقد عثر في الركن القبلي الشرقي لهذه الفسقية على بقايا أنابيب من الفخار كانت تجري فيها المياه التي تغذي الفسقية

وقد أمكن بموازنة الزخارف الجصية التي تغطي محراب هذه الدار وبعض الجدران بمبيلاتنا في جامع ابن طولون ان نقول انها من نفس الصناعة والروح . وهذه الدار التي مر على بنائها اكثر من الف عام حرية بان تكون لأحد أثرياء القوم في ذلك العهد . ولسنا نعلم الشيء الكثير عن الدار في العهد الاخشيدى القصير الأجل . وقد ذكر المقرئ ذلك البستان الذي أمر بغرسه محمد بن ططيج الاخشيد وسماه الخنار . وبني فيه قصراً وأما كن له ولعلمانه وكان يفاخر به اهل العراق

القصور الفاطمية

واذا تتبعنا الدار الإسلامية في مصر بعد العهد الطولوني لم نجد ما نهتدي به لمعرفة تفصيلات أخرى . سواء أكان ذلك من الآثار أم من كتب الخطط الإسلامية . فاذما وصلنا الى العصر الفاطمي وقلنا صفحات الخطط المقرزية وجدناها تفيض في وصف القصرين الشرقي والغربي والقصرين الكبير والصغير . ومع ذلك لا نوفق الى وصف دقيق من الناحية المعمارية الهندسية كما قلنا وان كانت هناك تفصيلات كثيرة عن القصر الكبير الشرقي الذي وضع أساسه القائد جوهر والقصر الصغير الغربي والقصر اليافعي وقصر الذهب وقصر الايال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر . وتلك كلها قاعات ومناظر شيدت في داخل سور القصر الكبير . وسميت القصور الزاهرة . وكان بجوار القصر الغربي الميدان والبستان الكافوري . وألحقت بالقصرين دور كثيرة ومبان عدة عرفت بأسماء مستقلة

وكان للفاطمين عدة مناظر ودور سلطانية غير تلك القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الضرب ومنظرة الجامع الأزهر ومنظرة الجامع الاقصر ومنظرة اللؤلؤة ومنظرة المقس ومنظرة الدكة والتاج ودار الملك بمدينة مصر . . . الخ .

ويمكننا ان نقف على وصف عام للقصر الشرقي مما أورده المقرئ . فكانت اجزؤه تشمل على عدة خطط واحياء تخترقها الطرقات والمسالك التي توصل الى اجزائه المختلفة وتضيئه الافنية

الكبيرة غير المسقوفة او الافنية الداخلية الصغيرة . وكان يحتوي على سكن للتحريم وأهم أجزائه قاعة الذهب (قصر الذهب) وهي إحدى قاعات القصر . ومشيدها العزيز بالله زار بن المعز . وكان مدخله في باب الذهب وقد جدد هذا القصر الخليفة المستنصر (٤٢٨ هـ) وكان الخلفاء يجلسون في هذه القاعة في اعيادهم . وبها كان يعمل سماء شهر رمضان للأمرء وسماء العيدين وكان فيها سرير الملك وذكر المقرئ انه في النصف من رمضان جلس المعز في قصره على السرير الذهب الذي عمله القائد جوهر في الايوان الجديد ولم يصف لنا هذا الايوان بكلمة . فهل تتخيله ايواناً ذا عقود واسعة يشرف على فناء القصر او تتخيله ايواناً مسقفاً بالقباب العظيمة العالية كما كانت عليه ايوانات قصور الساسانيين في سارفستان او المدائن (اكتيسيفون) او كان ذلك الايوان قريب الشبه بالردهات . وقد وصلنا لحسن الحظ وثيقة خطيرة الشأن ، تثبت عظمة القصر الفاطمي وأبنته ، حين زاره رسولا الملك عموري (أمريك) سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) : ليعقدا مع الملك العادل باسم سيدهما تحالفاً قوامه أن يدفع الخليفة للصليبيين مائتي الف دينار معجلة ومثلها مؤجلة ، نظير دفاعهم عن مصر وصدحهم الأعداء عنها

وقد وصف غليوم رئيس أساقفة صور (Guillaume de Tyr) زيارة الرسولين الصليبيين وعبر عن حماسهما وأعجابهما بعظمة ما رأياه وروعة كثير مما شاهداه ، وقد نقل جستاف شلمبرجيه (Gustave Schlumberger) الى الفرنسية بعض ما كتبه غليوم في هذا الصدد ، كما لخس لين بول (Lane Poole) بعضه في كتابه عن تاريخ مصر وكتابه عن صلاح الدين وسار السفراء الفرنج بقودهم الوزير شاور بنفسه الى قصر له رونق وبهجة عظماء . وفيه زخارف أنيقة نضيرة . وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حولهم جد التأثير دون أن يتطرق الى نفوسهم أي خوف أو رهبة . ووجدوا في هذا القصر حراساً عديدين وسار الحراس في طليعة الموكب ، وسيوفهم مسلولة ، وقادوا الفرنج في عمرات طويلة ضيقة وأقنية حائكة الظلمة ، لا يستطيع الانسان أن يتبين فيها شيئاً . وربما كان المقصود بذلك بعث الرهبة الى قلوبهم وزيادة التأثير فيهم . ولما خرجوا الى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلحين الذين كانوا ينهضون عند اقتراب شاور ويجوبونه باحترام . ثم وصل الموكب الى فناء مكشوف ، تحيط به أروقة ذات أعمدة وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان ، وفيها تذهيب خارق للعادة بنصارتة وبهائه ، كما كان ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة

وكان كل ذلك منظراً رائعاً بحيث لا يملك أشغل الناس بالاً وأكثرهم همماً إلا أن يفد الإعجاب به . وكان في وسط الفناء نافورة ، يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب

والفضة الى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام . وكانت ترفرف في الفناء أنواع لاجد لها من الطيور الجميلة . ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة اعجاباً بها ودون أن يقول أن الطبيعة أبدعت حين كوّنت هذه المخلوقات الجميلة . ومن هذه الطيور ما كان يلزم النافورة ، ومنها ما كان يظل بعيداً عنها كل بحسب طبيعته ، وكان لكل منها من الغذاء ما يوافقه

وهنا استأذن في الرجوع الحراس الذين كانوا يسرون في معية الفرسان الفرنج حتى ذلك الوقت ، وحل محلهم بعض العظماء من الأمراء المقيمين الى الخليفة نفسه . وسار هؤلاء الأمراء بالسفيرة الفرنجيين في أفنية جديدة ، أشد جمالاً وابداعاً ، ثم الى حديقة لطيفة غناء لم تكن الحديقة الأولى شيئاً بجانبها . ورأوا في هذه الحديقة أنواعاً من الحيوانات ذوات الأربع غريبة بحيث يتهم المرء بالكذب اذا وصفها ، أو تحدث عنها وبحيث لا يستطيع أي مصور أن يتخيل أو ان يحلم بمثل هذه الكائنات العجيبة . فأن الغرب لم ير قط مثل هذه الحيوانات ، ولم يكن يعرفها إلا بما كان يسمع من الاقوال

وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى ، وساروا في تعاريج كثيرة ، كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة واعجاباً ، وصل الفرنج الى القصر الكبير ، حيث يقطن الخليفة . وفاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك . وكانت أفنيته تفيض بالحارين المسلمين متقلدين أسلحتهم وعليهم الزرد والدروع ، تلعب بالذهب والفضة ، وعليهم سياء الاقتحار بما كانوا يحرسون من الكنوز . وادخل المبعوثون في قاعة واسعة تقسمها ستارة كبيرة من خيوط الذهب والحري المختلف الألوان . وعليها رسوم الحيوان والطيور وبعض صور آدمية وكانت تلعب بما عليها من البافوت والزمرد والاحجار النفيسة . ولم يكن في هذه القاعة احد ، لكن شاور خراً راكم ساعة دخوله ، ثم نهض واقفاً ثم قبل الارض ثانية . وخلع السيف الذي كان يلبسه في عنقه ، ثم خرّ ساجداً مرة ثالثة في ذلة وخشوع كأنه يسجد لله . وارتفعت الحبال فجأة ، ولما كشفت الستارة الحربية الذهبية بسرعة البرق ، كأنها ملاعة خفيفة ظهر الخليفة الطفل (السلطان العاضد) لأعين الفرنج المبعوثين . وكان على وجه هذا الأمير نقاب يخفيه تماماً . وهو جالس على عرش من الذهب مرصع بالجواهر والاحجار الثمينة

ولعتقد اننا نستطيع ان نخرج من هذا الوصف الرائع بصورة عن هندسة القصر الفاطمي الكبير

الايوبيون والمماليك البحرية

وفي ايام سلاطين الايوبيين والطبقة الأولى من المماليك تجملت القاهرة بما شيد في احيائها من القصور الفخمة والدور الواسعة التي كانت تمتاز بطابع يجمع بين وسائل الدفاع والرفاهية

في مظهرها. كانت كالفلاع الحصينة وكانت مبانيهم في مجموعها الانشائي عظيمة. ذات ابهاء مهيبة وقاعات فسيحة وسقوف مقببة ترتفع على عمد عالية. ويلاحظ الانسان تطوراً ظاهراً في اساليب العمارة الايوبية التي نقلها الايوبيون عن آثار الصليبيين في الشام. كما يلاحظ تقدماً في مواد البناء وجمالاً في الزخرفة. ولقد استمدت بعض منشآت ذلك العصر موادها الاساسية وهي الحجارة من الآثار المصرية والرومانية. كالاهرامات والمعابد واصطنع مظهرها الخارجي بمسحة عسكرية ظاهرة. وقد دوّن المؤرخون وكتاب الخطط ما احتوت عليه قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) وقلعة الروضة من مباني عظيمة. فقد أحب صلاح الدين بعد ما خلا له الجو في مصر ان يجعل لنفسه مقلاً بمصر فوزع القصور الفاطمية بين امرائه. وأزله فيها واصر الأمير بهاء الدين قراقوش الاسدي بانشاء قلعة الجبل (٥٧٢هـ) وأزال المساجد والقبور والاضرحة التي أقيمت مكانها القلعة العظيمة وبنيت في داخلها الدور السلطانية (٦٠٤هـ). واستمرت دار ملك الى ايام محمد علي باشا ولا نعلم ما اصاب القلعة في ايام خلفاء الكامل بعد عام ٦٣٥هـ. فقد هجرها الملك الصالح نجم الدين ايوب وفضل الإقامة في جزيرة الروضة وبنى بها القلعة وأنشأ بها الدور والقصور وغرس الاشجار وبنى بها جامعاً وعمل لها ستين برجاً وأتقن اموالاً حجة. وهدم بسببها اماكن كثيرة من دور وقصور ومساجد ليدخلها فيها وخرب الهودج الذي كان قد شيده الأمر باحكام الله على شاطئ النيل. ولما كملت القلعة جعلها مقر الايوان الملكي الذي قال فيه ابن سعيد الاندلسي الرحالة المعروف

« وكنت أشق في بعض الليالي بالفسطاط على ساحلها فيزدهني ضحك البدر في وجه النيل امام سور هذه الجزيرة الدري اللون. ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همه بانها. وهم من أعظم السلاطين همه في البناء. وأبصرت في هذه الجزيرة ايواناً جلوسه لم تر عيني مثاله ولا أقدر ما اتفق عليه. وفيه من صفائح الذهب والرخام الابهوسي والكافوري والحجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار» وظلت قلعة الروضة عامرة حتى انتهت دولة الايوبيين. فلما تولى الملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني اول سلاطين المماليك بمصر امر بهدمها ليعمر منها مدرسته المعزية بمدينة مصر واقضى به ذوو الجاه. فأخذوا عدة سقوف وشبابيك وبيع من اخشابها ورخامها أشياء جليلة وقد ذكر في كتاب وصف مصر انه كان موجوداً في زمن الاحتلال الفرنسي بقايا قصر بالمقياس ملاصق له من الشرق ومطل على الفرع الشرقي للنيل يعرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين. ولم يكن باقياً منه وقتئذ غير قاعة كبيرة متصل بها عدة اماكن اكثرها خرب. وهو بلا ريب من قصور القلعة الصلاحية وبما جدد فيه السلطان الغوري من القاعات أو المساكن « للحديث صلة »

السلع التجارية الشرقية

وروايتها في ديار الغرب

بقلم ر. التيمبي



لقد كان من الاسباب الرئيسية التي حملت بعض المغامرين من رجال البحر في اسبانيا والبرتغال وايطاليا على القيام بالاكتشافات البحرية في فجر العصور الجديدة طمع اولئك المغامرين في اقتناء الثروات الجسيمة . ففي خلال القرون الوسطى كان بعض التجار في البلاد المذكورة يتجرون مع المرافئ الشرقية ويحنون من تلك التجارة ارباحاً جسيمة لان السلع الشرقية التي كانوا يتجرون بها نادرة ومرغوب فيها فكانوا يأتون بها من آسيا عن طريق مرفئ الشرق الأدنى وكانت آسيا في نظرهم تقتصر على بلاد الهند التي يتصورونها مكتظة بالنفائس وقد بقيت بلاد الهند مجللة بهالة من الغموض لا يعرفون عن موقعها وعن احوالها الطبيعية والمدنية وصناعاتها شيئاً صحيحاً نظراً لبعدها عنهم وعدم تمكنهم من الوصول اليها فكانوا يشترون نفائس الشرق وسلعه المرغوب فيها من تجار العرب في سوريا ومصر ويقولون بوجود طريقين تجاريين رئيسيين الاولى برية ويسمون لها طريق الحرير كانت تبدأ من اواسط آسيا وتنتهي بمرفئ الشرق الأدنى والثانية بحرية وقد سموها طريق البهارات وعمر من المحيط الهندي والبحر الأحمر وتنتهي بالقطر المصري

لقد كانوا يتصورون الارض على اشكال شتى وقالوا بانها مسطحة والقدس مبنية في مركز ذلك السطح الفسيح ومحيط به محيطات تمتد حتى جدران هائلة في الجهات الأربع وهذه الجدران تحمل قبة السماء وقد قالوا ايضاً بتعذر السفر الى نواحي الدنيا الشمالية نظراً لوجود جبال الثلج العظيمة وبعدها امكان التوغل في القسم الجنوبي من الدنيا ابتداء من خط الاستواء نظراً لارتفاع درجة الحرارة ولغليان المياه في المحيطات كل هذا جعلهم يمتنعون عن الذهاب الى ديار الهند الغنية لقد ظلّ الغربيون على رأيهم المتقدم ذكره حتى القرن الثالث عشر حين ارسل البابا انست الرابع سنة ١٢٤٦ وملك فرنسا لويس التاسع سنة ١٢٥٣ وفوداً لملوك المغول للتبشير بالديانة النصرانية بينهم والاتفاق معهم على مسلمي البلاد المقدسة وقد ذهبت هذه الوفود الى مدينة

(قره قوروم) النتريه الواقعة في جنوب بحيرة بايقال وكانت عاصمة المغول واطلمت على اشياء كثيرة أثناء الرحلة لم يكونوا يعرفونها من قبل

وفي أواخر القرن الثالث عشر قام ماركو بولو بسياحة طويلة في بلاد آسيا دامت عشرين سنة (١٢٧١ - ١٢٩١) وصل خلالها الى مدينة بكين وكانت تدعى حينئذ (كبالو) وأقام ببلاد الصين سبع عشرة سنة ثم عاد الى أوروبا عن طريق الهند الصينية وبلاد الهند وإيران وبعد عودته بثلاث سنين نشر كتاباً بالفرنسية عن رحلته دماه (كتاب النفائس) وصف فيه البلاد التي زارها في سياحته الطويلة فكان لهذا الكتاب تأثير كبير في نفوس بعض المغامرين من بحارة الفرنج. ومما قاله في كتابه أنه يوجد في آسيا مدن غنية جداً تحبب الواحدة منها أكثر من ١٥ مليون كيس ذهب كضريبة جمارك وأنه يدخل الى تلك المدينة يومياً أكثر من ألف مركبة حاملة للأقمشة الحريرية النفيسة وادعى أيضاً بأنه شاهد بعينه في مرفأ إحدى المدن الآسيوية خمسة آلاف سفينة وأنه يوجد في حوض نهر الأزرق بالصين من المدف العامرة والمكتظة بالسكان ما لا يداينها عدداً في جميع أحواض الأنهار في الديار المسيحية او في بلاد حوض البحر المتوسط. أما بلاد اليابان فهي تزخر بالذهب الخالص حتى ان قصر الملك فيها قد بنيت جدرانه وأرضه بالذهب الخالص

لا نعرف على وجه التحقيق ما هي العوامل التي دفعت ماركو بولو الى ملء كتابه بهذه الأكاذيب والمبالغات غير المعقولة إلا أننا منذ كدونا بأن أنباءه قد أثرت كثيراً في عقول بعض المغامرين وجعلتهم يتحفزون للقيام برحلات مخفوفة بالآخطار ليتمكنوا من الوصول الى الهند والاعتراف من كنوزها الثمينة. وبينما كانت أنباء ماركو بولو تنشر بين الناس في ديار الغرب كان الافرنج قد نقلوا أثناء الحروب الصليبية كثيراً من الآراء والمعلومات الجغرافية التي كانت مجهولة بفضل اتصالهم بتجار العرب الذين كانوا أرقى منهم علماً وأكثر ولماً بالأمور التجارية فالعرب هم الذين نقلوا للافرنج علوم اليونان الذين كانوا يقولون بكروية الارض وحين ذبوع هذا الرأي الجديد في شكل الارض أصبح في حيز الامكان ذهاب السفن الفرنجية الى الشرق عن طريق أفريقيا الجنوبية وهكذا اتسعت الآمال وشحذت الهمم بين المغامرين المتلهفين للاعتراف من كنوز الشرق الخلاب

والسلع الشرقية التي كانت تطلب بكثرة في متاجر الغرب كثيرة منها العنبر الرمادي الذي كان يباع كمادة صلبة فاذا ما عرضت على نار حامية فاحت منها رائحة ذكية أخاذة وقد اختلفوا في تعيين مصادر هذا العنبر فقبل أنه يوجد منه في الصخور الواقعة في وسط البحار او على

شواطئها وفي جوف الأسماك وقال آخرون بأنه هو نبتة في قعر البحر مثل الاسفنج او انه يستخرج من جوف سمك معروف باسمه ومن الخرافات الشائعة في شبه جزيرة ملايو ان العنبر الرمادي هو عبارة عن براز متصلب لطير ضخيم الجسم يجمعونه من بين الصخور في بلاد ذلك الطير والمعروف منذ القدم ان العنبر يكثر على شواطئ المحيط الهادي وأحسن اجناسه توجد في جزر افريقيا الشرقية وفي مدينة زهار الواقعة على بحر عمان حيث يلتقطه الأهليون ليلاً وهم ممتطون ظهور إبلهم تحت أشعة القمر فاذا ما اقترب الراكب من العنبر بين الصخور نهبه جملة الى وجوده بسبب قوة الشم فيه . وقد كان يوجد في مدينة عدن تجار يفتنون كثيراً بتجارة العنبر فينقلونه الى الاسكندرية ليبيعوه الى تجار الفرنج والى بغداد ليوزع منها على سائر الأسواق الشرقية . وقد وجد العنبر في بلاد الاسبان والبرتغال الا انه أقل جودة من عنبر البلاد الهندية وسائر شواطئ المحيط الهندي

والبلسم مادة زيتية ثمينة تخرج من قشرة شجرة تدعى بهذا الاسم وقد كان الناس في القرون الوسطى يزورون المطرية الواقعة قرب القاهرة حيث توجد مياه معدنية وكانوا يعتقدون بأن السيدة مريم العذراء كانت استراحت هناك حين هاجرت لمصر مع ابنها وهناك في المطرية تنمو شجرة البلسم التي يستخرجون من قشرتها مادة البلسم الزيتية وكانت مزرعته ملكاً للحكومة المصرية وعملية استخراج المادة المذكورة الثمينة تجري تحت اشراف موظفين اخصائيين وكانت تهدي لرجال السلك السياسي ولسائر امراء الدولة ورجالها العظام وكان يرسل منه الى المستشفيات ويبيع القسم الباقي بأثمان حسنة وكانت الحكومة تسمح لموظفيها بأن يأخذوا بعض غصون الشجرة وأوراقها التي يمكن الاستغناء عنها فيغلوها ويأخذوا منها بلسماً رديئاً الا انه كان يباع أيضاً بأثمان مناسبة . وفي خلال القرون الوسطى لم يكن احد يشتغل باستخراج البلسم سوى رجال الحكومة المصرية على ان شجرته لم تكن خاصة بالقطر المصري فقد نقلت الى بلاد العرب ثم اخذت البلاد المجاورة تستوردها من الحجاز . وقد استنبقت في مدينة اريحا الفلسطينية حيث كان الاهلون يشقون قشرتها وفقاً للطريقة التي فصلها العلامة عبد اللطيف في بحثه عن بلسم المطرية . وقد شحت مستنبطات المطرية في ابان الحروب الصليبية وكادت تنقرض وحين أرادت الحكومة المصرية احياءها استحضرت فصائلها من البلاد الحجازية

وصمغ العسلبذ (جاوا) كان تجار العرب يستوردونه من جزيرة سومطرة ويسمونه (لبان جاوا) ومنه اشتق اسمه البرتغالي (بنزاوى) والافرنسي (بنجوان) وقد كانت سوقه الرئيسية في الاسكندرية حيث يباع بأثمان باهظة . وكان ملوك مصر يقدمونه كهدايا ثمينة لرجال الجمهورية البندقية

وخشب الصبر كان مرغوباً فيه جداً بسبب الرائحة الذكية التي تخرج منه حين حرقه وهذا البخور لا يزال مستعملاً في بلاد الشرق . وكان الخلفاء والملوك يدخرون منه كميات كبيرة يستوردونها من بلاد آسام الهندية التي كانت تدعى قديماً (كاروبا) واليها نسب اسم أحسن جنس منه فيقال عنه (خشب كروبي) . ويوجد منه جنس أقل جودة كانوا يستوردونه من الهند الصينية . وشجرة الصندال الليمونية لها مادة عطرية حادة ومرغوب فيها جداً تباع بأثمان عالية والنوع الأبيض منها أقل رواجاً من النوع الأحمر الذي لم يكن يقتنى فقط لرائحته الذكية بل لتلون الاقشة أيضاً وكان يرد من الهند وجزيرتي سيلان وتيمور

والكافور جاء ذكره في القرآن الكريم وكان القدماء يعرفون خواصه الطبية . وقد ذكر علماء الجغرافية العرب قصصاً عن بحارة زاروا أماكن اصدار الكافور وجلسوا تحت شجره وقالوا انه يستخرج كمادة مائعة بعد شق جذع الشجرة وأحسن أجناس الكافور ما كان يستورد من جزيرة سومطرة . ولا تزال هذه الجزيرة مشهورة باصدار هذه المادة الطبية الثمينة على انهم استخرجوا الكافور في الصين من شجرة أخرى تختلف عن شجرة جزيرة سومطرة قليلاً

والدارشين أو الدارصيني ومعناها بالفارسية خشب الصين هي من السلع المرغوب فيها وقد ضاع اسم البلاد المصدرة لها في ظلمات العصور الغابرة . وكانت مراقيء الشرق الأدنى تشحن منه بكيات وافرة منذ القرن الثامن الميلادي . ولوحظ أن رجال الكنيسة في ذلك العهد وما بعده كانوا يتهادون البهارات والروائح الذكية المختلفة وبينها الشيء الكثير من الدارصيني

ولقد ظلت السوائل العطرية تحضر في اوربا منذ العهد الميروفنجي باستخدام زهور القرنفل المجففة وكان يؤتى بها من الشرق وتباع بأثمان أعلى من الفلفل . وقد تكلم ابن بطوطة عن هذه الزهور حين بحثه عن جزيرة سومطرة في رحلته الشهيرة وهي أضرار الزهر المجفف المفلق لضرب من شجر الريحان وعلى انواع مختلفة ذي رائحة ذكية وأكثر الاقطار زراعة له هي زنجبيل ويستخرج منه زيت القرنفل المستعمل في مداواة الأسنان وفي الروائح العطرية

وللعرجان أنواع شتى كانت تشحن من غربي البحر المتوسط الى الهند والصين وكانت اماكن اصداره في مدينتي بون الجزائرية وسبتة المراكشية على أن أحسن اجناسه كان يصدر من مرقاً صغير بالقرب من مدينة سوتة يدعى بالحرز نسبة الى هذه البضاعة

وزراعة القطن في القرون الوسطى كانت منتشرة في بلاد الشرق على أن أجود انواعه كانت تستنبت في أراضي حماه وحلب . وما يؤسف له أن هذه البلاد لم تعد تعني بهذا المحصول الذي له المقام الممتاز في الصناعات النسيجية الحاضرة . وقد زرعت أنواع أخرى من القطن أقل جودة من الحموي والحلي في سهول كيليكيا وفي أراضي عكا واللاذقية وقبرص فكانت السفن

الشراعية تروح وتعدو حاملة الاقطان الى البلاد الاروية من المرافىء السورية ومن الاسكندرية. ولا بد من الاشارة هنا الى أن زراعة القطن لم تكن معروفة في القطر المصري بل كان التجار ينقلونه اليه من العراق والهند ويران فيأخذ السكان ما يحتاجونه لمعاملهم ويصدرون الباقي الى البلاد الافريقية

وكانت بلاد حضرموت العربية تصدر البخور ويقول ماركوبولو في رحلته أن البخور كان يشحن من مدينتي شحر وظفار في حضرموت. وذ ك ذلك أيضاً جغرافيو العرب وأيد هذه الرواية الرحالة كارتير حين قام بسياحة في جزيرة العرب (١٨٤٤ — ١٨٤٦) فقال انه رأى أشجاراً في أراضي المدينتين المتقدم ذكرهما تؤخذ من قشورها بعد شقها مادة لزجة بيضاء هي البخور بعينه. ويوجد من هذه الاشجار في بلاد الصومال وقد أصبحت الآن المصدر الوحيد للبخور. وكان التجار العرب يستوردونه من مرفاء حضرموت الى بغداد والى تبريز ومنهما كان يوزع على سائر الأسواق العالمية. أما ما كان يباع منه في الاسكندرية فانه أقل جودة وأرخس ثمناً. وقد كانت العادة أن يحضر سلطان حضرموت يبع البخور بنفسه فيشتري القنطار الواحد منه بنحو عشرة دنانير ذهبية ثم يبيعه للتجار بستين ديناراً أو أكثر من ذلك

لقد كان أطباء العرب يؤمنون كثيراً بفوائد جذر نبات يدعى (خوليجان) وهي كلمة مأخوذة من كلمة أخرى صينية هي (خالنجان) وهذه الجذور كانت تستخدم كعلاج أو تضاف الى بعض الأطعمة نظراً لخواصها المهيجة وقد بيعت في جميع مرفاء الشرق الأدنى ولها نوعان الأول ذو طعم مر ولون أحمر داكن ورائحة جميلة وكانوا يستوردونه من الصين ويصدرونه الى أوروبا أما النوع الثاني فهو أقل رواجاً وجودة وأخف وزناً من الأول وكان يؤتى به من بلاد الهند

والصمغ ، أصله عصارة تستخرج من ساق شجرة بعد شق قشرها وتكثر هذه الأشجار في بلاد اليونان وفي آسيا الصغرى ويوجد في الهند والهند الصينية أشجار تنمو عليها حشرات صغيرة تشق لحاء ساق الشجرة فتخرج منها مادة لزجة تتصلب فيما بعد ويكون لونها حينئذٍ أحمر فيستخدمونها في تحضير بعض الألوان وفي الأمور الطبية

وكان يباع العاج في الاسكندرية وعكا وفناغوسطة وعدن ويرد اليها من بلاد الحبشة التي كانت تصدر أجود الأنواع . والفيل الافريقي أقوى وأمتن من الفيل الهندي وله أنياب أطول وأصلب . لذلك كانت الهنود يستوردون العاج من بلاد الحبشة علاوة على ما لديهم منه . وأهم اماكن اصداره كانت تقع على شواطئ البحر الأحمر وزنجبار وجزيرة مدغشقر

وأحسن أنواع الكتان ما كان يستنبت في القطر المصري حيث أقيمت مصانع كثيرة لفرله ولنسج أقشمة مرغوب فيها جداً منه وكانت تصدر المادة الغفل منه من دمياط والاسكندرية الى سائر مراقي البحر المتوسط . وقد استنبت الكتان في اراضي نابلس الفلسطينية الا ان المحصول المصري كان مرغوباً فيه اكثر منه حتى ان الحكومة المصرية كانت تعاقب من يخلط هذين الصنفين في معامل النسج وتحرس على ان تكون الأقشمة الكتانية المصرية مذبذوبة من المحصول المحلي وحده . ويفهم مما تقدم ما كان للكتان من الاهمية في الديار المصرية

والمسك مادة يفرزها حيوان المسك وتخرج من غدة قرب سترته . ويقول مؤلفو العرب ان حيوان المسك يعيش في البلاد الواقعة بين التبت والصين وفي آسيا الوسطى والهند الصينية ويقال ان رائحة المسك لا تكون مستحبة عند خروجه من الغدة فاذا ما تعرضت تلك المادة الى الهواء انعكست الآية وانقلبت الرائحة المستكرهة الى ذكية حادة . وقد قيل ايضاً ان حيوان المسك حينما يشمر بامتلاء غدته يتحسك بالصخور ليفرز مادته الثمينة عليها . ولهذا السبب يطوف طالبو هذه المادة الجبال والادوية في البلاد المعروفة بالمسك ليجمعوها

والزعفران مادة كانت مرغوباً فيها جداً وكانت تضاف الى بعض الأطعمة الشرقية وأحسن اجناسها ما كان يؤتي به من كليكيا وقد عرفها الغريون منذ الاحقاب الاولى واستخدم الزعفران في كتابة الاحرف الجميلة نظراً لونه الاصفر الذهبي اللامع . ويعرف الفرس انواعاً مختلفة للزعفران اروجها ما كان يستنبت في جوار اصفهان وهمدان وحلوان واستخدمه الاطباء في تحضير بعض الأدوية

ونقل العرب حين حكموا القسم الغربي من حوض البحر المتوسط دودة القز فأدخلوها الى اسبانيا والى جزيرة صقلية واستخرجوا الحرير منها في غرناطة ثم حملوه الى مصانع النسج في مدينة المرية حيث نسجوا أحسن انواع الحرير على ان تجار جنوا كانوا يستوردون الحرير الغفل من شيروان الفارسية ثم نافسهم في هذه التجارة الرابحة البنادقة . واشتهرت ايضاً بلاد طبرستان ودمشق وحماة وحصص بصنع الحرير ونسجه

وكان قصب السكر يزرع في سهول الهند والهند الصينية وفي القسم الجنوبي من بلاد الصين الا ان سكان هذه الديار كانوا يجهلون صنع السكر ويكتفون باستخراج العصارة السكرية واستخدموها في شؤونهم البيتية . اما السكر باشكاله المختلفة فلقد صنع لأول مرة في مدينة جندي شابور ايام الخلافة العباسية . وبعد صنعه انتشرت زراعة قصب السكر في مقاطعة خوزستان انتشاراً كبيراً نظراً لجودة الجو فيها وملاءمة التربة واتقان اساليب الري . وكان الخلفاء العباسيون يتسامحون من اهل خوزستان سنوياً كضرائب كمية من السكر تقدر قيمتها بثلاثة ملايين دينار.

وقد عرفت بغداد بصنع السكر وتحضير المربيات والاشربة السكرية الممتازة وحذت العواصم الإسلامية الاخرى حذو بغداد فأنشئت مصانع للسكر وملحقاته في دمشق والقاهرة وغرناطة وهاجرت طائفة من صنّاع السكر بالقاهرة الى بلاد الصين في ايام قبلاي خان — وهو أول امبراطور مغولي في الصين — وعلموا اهل تلك البلاد طريقة صنع السكر وذلك باضافة كمية من البوناس الى العصارة السكرية المستخرجة من قصب السكر

وقد زرع قصب السكر بنجاح في نواحي طرابلس الشام وفي شمال افريقيا وفي بلاد الاندلس وراجت صناعة السكر في جزيرة صقلية ايضاً وكلمة (مصارة) المستعملة الآن في لغة اهل هذه الجزيرة مأخوذة من كلمة معصرة العربية وهي التي كانوا ينشئون لها لصرق قصب السكر في الجزيرة واستخراج العصارة السكرية منها

ولم يعرف الا فرنج شيئاً عن طريقة صنع السكر الا بعد ان جاءوا لسورية في الحملة الصليبية الاولى ورواوا المصانع في طرابلس الشام فنقلوها الى ديارهم وانشئت هذه المصانع في بعض مدن جزيرة قبرص

وزرع قصب السكر في القطر المصري ولاسيما في جوار دمياط ورشيد حيث انشئت عدة معاصر كانت تدار بالجاموس لعمل السكر باحجام واشكال مختلفة وللشربين ولع كبير باقتناء الأحجار الكريمة وتوجد مناجم الزمرد على حدود بلاد النوبة وقد استغلها الفراعنة ومن بعدهم البطالسة والرومان والعرب وظل الاستغلال قائماً حتى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي ثم أهملت تلك المناجم بسبب نفاد الزمرد منها. وللزمرّد نوعان الاول كان مرغوباً فيه في الهند والصين والثاني كان يشحن للبلاد الأوربية

واستخرج الياقوت الاحمر من الأراضي المصرية الا أن أحسنه كان يؤتى به من جزيرة سيلان التي اشتهرت بهذا الحجر الثمين وسماها العلامة البلاذري بجزيرة الياقوت . وقد مهر سكانها في تجميل الياقوت وصقله فكانوا يعرضونه على نار حامية خلال عدة ساعات ليزيدوا في رونقه وجال لونه واستخرج ياقوت أحمر قانر من الهند الصينية الا أنه أقل قيمة وصلابة من حجر سيلان . واعتاد الملوك والأمراء بالشرق احتسار الياقوت وبيعه بأثمان مرتفعة وكان يستخرج حجر الفيروز الثمين من بلاد كرمان وخراسان . وكانت بلاد الهند تشحن معظم عقيقها وياقوتها الى اوربا عن طريق مصر . واشتهرت الهند باصدار الماس الا أن الياقوت كان يباع في كل من بغداد والقاهرة خلال القرن الثالث عشر بأثمان أعلى من الماس نظراً لتهافت الملوك والأمراء على اقتنائه وتفضيلهم إياه على سائر الأحجار الكريمة

وكان للؤلؤ مصايد كبرى في كل من الخليج الفارسي ومضيق بلك الواقع بين شبه جزيرة الهند وجزيرة سيلان . وتقع مصايد اللؤلؤ في الخليج الفارسي في المنطقة البحرية التي تحيط بجزيرة البحرين وفيما جاورها من بحر عمان قرب مدينتي عمان والقطيف . أما منطقة اللؤلؤ الثانية في جزيرة سيلان فلقد عرفها جغرافيو العرب وذكروها في مؤلفاتهم وكانت تستخرج منها لآلئ نفيسة في أيام العلامة الادريسي . وأهم أسواق اللؤلؤ كانت في بغداد وتبريز والسلطانية وسمرقند

وقال ابن بطوطة عن صيد لؤلؤ البحرين في الجزء الاول من رحلته ما يأتي : —
 « ومغاص الجوهر فيما بين سيراو والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر مايو تأتي اليه القوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويحمل الغواص على وجهه مهرا أراد ان يغوص شيئاً يكسوه من عظم الغنم وهي السلاحفاء ويصنع من هذا العظم أيضاً شكلاً يشبه المقرض يشده على أنفه ثم يربط حبلًا في وسطه ويغوص ويتفادتون في الصبر في الماء فمنهم من يصبر الساعة او الساعتين فما دون ذلك فاذا وصل الى قعر البحر وجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتاً في الرمل فيقلعه بيده او يقطعته بحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها في مخللة جلد منوطة يعنقه فاذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل المسك للحبل على الساحل فيرفعه الى القارب فتؤخذ منه المخللة ويفتح الصدف فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسة والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب »

ويقولون انه حينما تدخل حبة من الرمل او من اي جسم آخر في الاصداف يكسوها حيوان اللؤلؤ صدف الدرويشكؤن من ذلك اللؤلؤ

ولقد كان للتوابل اهمية عظيمة في تهية الاطعمة وأهم هذه التوابل الفلفل وجوز الطيب والبسباسة والوانلا والقرفة وخيار الشنبر والقرنفل والزنجبيل وما شاكل ذلك ولها رائحة ذكية وطعم حريف وتستعمل في اعداد الاطعمة وتحفيها للحفظ وتستخرج من عدة اجزاء من الاشجار التي تجود بها غير ان اغلبها من ثمارها وحبوبها وبعضها من القشر الداخلي او الخارجي والبعض الآخر من الجذور ويرجع الفضل في طيب شذائها الى الزيوت العطرية بها . والتوابل كلها من محصولات الهند والهند الصينية وجزر الهند الشرقية

مفارقات

ذر الوري يفعلوا في الدهر ما شاءوا
فهم لهذا الى دنياهم جاءوا
واعذر بصيراً اذا طاشت نواظره
فقد يرى غير أن النفس عمياء
وارحم ضعيفاً عن الحالات يحملها
فالساعُ تنقل والأيام أعباء
الماء لو كان يدري من سيشربه
لعله كان لا يجري له الماء
والشمس لو عرفت من يستضيء بها
لعله كان غَضَّ النور إغضاء
سل ناضر الثبت مزهواً برونقه
هل تستبين له في الافق أنواء
إن يحرق الثلجُ هذا الثبت منهراً
فأله من حريق الثلج إطفاء
ماذا يفيد جلاء اللون مرتحلاً
لا يستقيم له نصح وإيصاء
ولا يصحُّ اجتهاد العقل فيه له
فالمجز والزور تأويل وإفتاء
يا طابر الدهر أقصر عن تفهمه
لا النور نور ولا الظلماء ظلماء
هما طريدا شعور أنت شاعره
لم يتسع لهما جنب وأحناء
والحسن والقبح أخلاق وأمزجة
والحب والبغض أطوار وأهواء
والسعد والنحس احوال وأقضية
والخير والشر عادات وآراء

القبريون

للاب انستاس ماري الكرمل

١ — تصدير

في لغتنا الضادية ، الفاظ مترادفة ، يُرى بينهما ما يشبه الكلم السامية ، ومنها ما يشبه الحروف اليافنية ، ومنها ما يضاهي الكلم الحامية . وهذا دليل يبين على ان ابناء يعرب اختلطوا بأنم مختلفة اللغى والعناصر ، والعروق ، فاقتبسوا منهم مفردات ، كما ان معاشريهم اخذوا منهم أوضاعاً ، أدخلوها في ألسنتهم ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وتعذر عرفان تلك الأصول ، فلا يُدْرَى اليوم أخذها العرب من الأعاجم ، أم استعارها هؤلاء من اولئك . وعلى كل حال ، أصبحت دراستها من ألد المباحث ، لما فيها من العودة الى القرون الأول ، والوقوف على أصرار لغى تلك الأمم ، ودقائق نطقهم بها ، على مختلف الوطن والزمن .

والأدلة التي تثبت هذه الحقيقة أكثر من ان تحصى ، وربما تقع في مجلد ضخم ، كله بدائع وروائع ، ولما كان هذا الموضوع يخرجنا الآن عن بحثنا الذي أرصدنا له المقال ، نذكر شاهداً واحداً ، ليقف القارئ على ما نشير اليه . وهو كلمة (شهر) . فهذه الكلمة سامية الوضع ، فهي في الارمية (سَهْرًا) ومعناها (القمر) ، لأن حساب ايام الشهر ، يعرف من القمر ، فهو مقياس ايامه منذ اقدم الأزمنة ، وعند جميع امم الشرق والغرب . ومن اسماء (القمر) في لغتنا (الساهر) و (الساهور)

وفي لساننا كلمة أخرى تدل على الشهر هي (الخاص) ، بنون مضبومة ، فميم مفتوحة ، فألف ، فصاد . فهي مقولوب احرف اليونانية Ménos (مأنص) المشتقة من Méné ومعناها (القمر) . وهذه الكلمة اليونانية يجانسها الفاظ ، في كثير من السنة ديار الغرب كالهندية الفصحى (السنسكريتية) ، والفرندية ، والفارسية ، والأرمنية ، والالبانية ، واللاتينية ، والانبرية ،

والارلندية القديمة ، والغالية ، والبريطونية ، والقوطية ، والالمانية العالية القديمة ، والانكليزية السكسونية ، والزمندية القديمة ، والصقلبية القديمة ، والتوانية ، واللتيية ، والبروسية القديمة والفرنسية ، والانكليزية ، والاسبانية ، والاطالية ، الى غيرها من اللغات . ونحن ننقل كل ذلك عن معجم بوازاق اليوناني الفرنسي ^(١) . ولو تعلم ان في مطبعة المقتطف حروف هذه الألسن ، لصورناها هنا للباحث ، المتطلع الى دروس الحقائق وما فيها من الدقائق . ومن اراد تتبع هذا الموضوع ، فعمله بمراجعة هذا المعجم النفيس في ترجمة Mén ، فانه يفيد الفائدة العظمى الممتعة ويؤخذ من هذا كله ، ان مادة (نم ص) او (من ص) بمعنى الشهر ، غير موجودة في اللغات السامية ، فيستنتج انها دخيلة في المصرية ، وانها جاءتنا ، يوم كان ابناء اسماعيل مختلطين بسائر الأمم والشعوب حينما كانوا في سقي بحر الروم (او البحر المتوسط) . فاستطعنا بهذه الطريقة ان نهتدي الى اصل (نم ص) الحقيقي ، لكن الأمر ليس بالهين في مثات ، بل في الوف من الألفاظ ومن جملتها (القبري) وجمعها (القبريون) أو (القابرة)

٢ — الكبيريون

عند اليونانيين كلمة ، هي : Kabeiroi ، وهي باللاتينية Cabiri ، وبالفرنسية Cabires ، وبالانكليزية Cabiri وقد حار علماء اللغة والتاريخ والدين في معرفة اللغة التي وضعت فيها لأول مرة . فمنهم من قال بأنها مشتقة من السامية (كبيريم) ، اي كبار او كبراء ، ومعناها (الآلهة العظيمة) او (الكبار) . وذهب فريق الى انها مشتقة من فعل يوناني هو Kaiô (كايو) اي كوى ، وأحرق لان (الكبيريم) او الكبيريين او (الكبار) آلهة اشرار ، هم آلهة النار ، يكونون أعداءهم بالنار ، تحقيقاً لهذه الآية : « لِنَسْتَفْعَاً بِالنَّاصِيَةِ »

٣ — عبادة الكبيريين السرية

وكان هؤلاء الآلهة عبادة سرية ، يؤديها لهم بعض الاقوام من اليونانيين ، ولا سيما اهل ساموثراقة ، ولينوس ، وانبروس . وقد نقلها الى تلك الربوع ، الفنيقيون ، ثم اعتورها التبديل والتغيير ، بحسب ظروف المسكن ، والزمان ، وروح تلك الديار ، حتى امتزجت كل الامتزاج بعبادات الپيلاسجيين — وقيل : إن لهذه العبادات صلة « خاصة » بالهيفستيين Hephaestains

(١) Emile Boisacq. — Dictionnaire Etymologique de la Langue Grecque. — Paris. Librairie G. Klincksieck. 1923

باعتبارهم معلمي المشتغلين بالمعادن ، وصلةً بدماطر Demeter ، وفسافونة Persephone ورائعة Rhea ، وهكاته Hecate باعتبارها آلهات الطبيعة

وكان الكبريون في بدء الامر ، اربعة ، ودونك اسماءهم : اكسياروس Axieros وأكسيوكرسس Axiocersus واكسيوكرسة Axiocersa وكدمللس Cadmillus او كسمللس Casmillus ، ثم ترجمت هذه الاعلام بعد مدة طويلة بصور شق فرة كانت حُلُفان^(١) Vulcanus ، والمرىخ Mars ، والزهرة Venus وعامر، Amor او عرمونية Harmonia ومرة أخرى بصورة دماطر Dèmetèr او كَرَش Ceres ، وفلوطن Pluton وفروسرفيته وهرمس Hermes أو عطارد Mercurrius

وقد التبس على كثيرين لفظ (الكبريين)^(٢) بلفظ (الكوربتيين Curetes) ، او بلفظ (الكوروبتيين) Corybantes او (بالدكتولين) Dactyles

والخلاصة : لا يمكننا ان نؤكد تأكيذاً صادقاً كل ما يتعلق بتلك الآلهة ، اذ ما كان يجوز لاحد ان ينطق بأسمائهم ، ولا بأنواع العبادات السرية والفاضة التي كانت تؤدي لهم ، وكانت تخفى على كثيرين ممن قبلوا في احضانها

وكان اسم السكاهن الأكبر ، او الحبر الأعظم ، لتلك العبادة الكبيرة (قويس) (Kòès) وهو الذي كان يتقبل شهادة الداخلين فيها ، وآخر حفلة تقام لوقف (الوليح) على أسرار الدين ، تسمى (تنصياً) Thronismos

يُجسّس (الوليح) على تكرمة متلاثة انواراً ، بعد ان يمنحن محناً تشيب لهولها رؤوس الاطفال ، ثم يرفع وجهه ، ويقعد على جبينه إكليل يتخذ من غصن زيتونة ، ويوشح بوشاح بديع ، بينما يكون الموابذة والمرا بذة قد أمسك بعضهم بأيدي بعض ، وهم يرقصون رقصاً رمزياً هو (الدستند)

(١) يقول العربون المصريون في تعريبه (فلسكان) وهذا غير صحيح لال الحرف الغربي او اللاتيني V لم ينقله قدماء العرب الى قاء او واو ، او باء ، بل الى حرف حلقى ، فهو اما (ح) او (خ) او (ع) او (غ) ولنا كلام طويل في هذا الموضوع . و(حلقان) مأخوذ من مادة (حلق) المشابهة لمادة (حرق) و(حلقان) اله الاحراق والحلق والحلق هو الاصابة بالشر والاهلاك (٢) الياء في (الكبري) بمعنى (الكبير) المبالغة كلاجري لاجر في قولك (اجري) بمعنى (الاجر) بكثرة او شدة

ويروى ان ماثئا Aineas ^(١) عرف اهل ايطالية بالكبيرين ، فأقيمت فيها اعياد اكراماً لهم منذ ذاك الحين

٤ — الكبيريون هم القبريون او القعابرة

بسطنا للمقارئ ملخص آراء علماء الغرب في ما يتعلق بأمر (كبيرين) ليتضح له المعنى المطلوب من (الكبيرين) وقد اعتمدنا على رسنيول في كتابه *Les Métaux dans L'Antiquité* من *La Mythologie de la Grèce Antique* — وم. پ. دشارم *par Rossgnol* — ووبستر في معجمه الدولي الجديد للغة الانكليزية المطبوع سنة ١٩٢٤ *par M. P. Decharme* — Webster's New international Dictionary of the English Language Editor in chef : W. T. Harris, Ph. D., LL. D. — General Editor F. Sturges Allen

وليقف على الحقيقة وهي أن علماءهم البصرياء غير متفقين على أصل تلك اللفظة . فمنهم من قال أنها من أصل سامي ، ومنهم من ذهب الى أنه من مادة حاوية ، ولم ير أحد منهم أنها من تركيب يافثي أو هندي

ومهما يكن من هذا الاختلاف ، فاننا نرى في لغتنا ، الكلمة الحقيقية التي نشأت منها (الكبيريون) بالتصحيف والتحريف . وأن هذه اللفظة هي (القَمْبَرِي) وضبطها بالقاف المفتوحة فالعين المهملة الساكنة ، يلها بَاءٌ موحدة تحته ، قرأء مكسورة فياء مشددة . وهذه الكلمة قديمة في لغة مُصَرَّ . وانما قيل فيها (كبيرى) ، لان القاف غير موجود في لغات الغربيين فيعوضها عنها بالكاف والعين لا وجود لها في تلك الالسنه ، لانها من أحرف الخلق ، التي هي : أ ، هـ ، ح ، خ ، ع ، ك ، ق ، فعندهم منها : أ ، هـ ، ك وأما ما بقي منها فيسقط في كلامهم أو يبدل بأحرف آخر ، وقد سقطت هنا العينين ، وبقي من احرف تلك اللفظة : الباء والراء والياء . وفي التوراة ، مئات من شواهد الأعلام تؤيد رأينا هذا بلا شاذ واحد ، ولا ناد

(١) اينياس اي Aineas على ما نقلها العلامة سليمان البستاني في (الباذة هوميروس) او بصورة (آنياس) كما في قوله (ص ٣٠٦) :

وآنياس الدردنين أمر وهو ابن انخيس اخو الذكر الاغر
ومرة بصورة ايناس ، كما في هذا البيت (ص ٤٠٨) :

لهم في السما هذا الحديث وفي التري
ذويמיד لا ينفك ايناس يطلب
وأخرى بصورة آنياس ، كما في هذا البيت (ص ٤٠٩) :

وسار أفلون بآنياس مسرعا لمعبده في طود فرغام يذهب

ولا يجوز ان يعتب بالعلم الواحد هذا البيت . وقال في معنى آنياس في ص ١٢١٦ (هائل) ، وهذا لا يوافق عليه علماء اللغة وقهاؤها من اليونانيين . ونحن عربنا بصورة (حائن) ، وهو المعنى الذي اتفق عليه أو يكاد المولعون بأصول السكام ودراسنها . وكتابة هذا العلم بالاحرف اليونانية يحملنا على اقرار عريته بهذه الصورة دون غيرها ، ولا سيما لان المعنى يثبت ذلك المبني اثباتاً صحيحاً لا ريب فيه

وما يؤيد فكرنا هذا ، ما ورد في الحديث النبوي . قال ابن الاثير في النهاية ما هذا نقله :
 هـ (اي في كتاب الهروي) : « ان رجلاً قال : يا رسول الله ، من اهل النار ؟ — قال : كل
 شديد قعبري » . — قيل : وما القعبري ! — قال الشديد على الامل ، الشديد على
 العشرة ، الشديد على الصاحب قال الهروي : سألت عنه الازهري ، فقال : لا اعرفه .
 وقال الزحشرى : أرى انه قلب^(١) عبقرى . يقال : رجل عبقرى ، وظلم عبقرى شديد فاحش .
 والقلب في كلامهم كثير « اه . ما جاء في النهاية

وما ورد في اللسان وتاج العروس لا يخرج عما جاء في النهاية ، فلا حاجة لنا الى ايراده
 هـ . القعبري واشتقاقه الحقيقي ومعناه العلمي

هل القعبري مقلوب العبقرى ؟ — قد يكون ذلك ، لكننا مع كل احترامنا لرأي أحد
 اللغويين الأقدمين الكبار ، لا نرى رأيه ، والأخذ برواية الآخرين من غير عرضها على محك
 النقد مما يسد باب الاجتهاد ، ويحول دون تقدم فكر البشر . والذي عندنا : ان كل لفظ يتعدى
 أحرفه الثلاثة ، يحل الى دونه تركيباً ان كان عربي الأصل او الوضع ، فالسباعي الى السداسي
 وهذا الى الخماسي ، وهذا الى الرباعي ، والرابعي الى الثلاثي ، وهذا الى الثنائي ، فننظر حينئذ
 في هذا التركيب

فراينا إذن ان القعبري يندو في حله (قعبر) لأن الياء للمبالغة في المعنى ، و (قعبر) يصير
 في ثلاثيه (قعر) ومعنى (قعبر) الشيء انتهى الى قعره . فاذا سمعت ان فلاناً (قعبر البئر) ،
 فمعناه : نزل اليها حتى انتهى الى قعرها ، و (قعر) الاناء : شرب ما فيه حتى انتهى الى
 قعره ، و (قعر) الثريدة : أكلها من قعرها ، و (قعر) فلاناً : صرعه كأنه صار الى قعره
 أي نهاية أسفله . و (قعر) النخلة : قطعها من قعرها أي أصلها . الى آخر ما هناك من الأمثلة
 ثم ان مادة (قعر) قد ترد الى الثنائي فتصير (قر) ومنه (القرار) لما قر فيه ، أي ثبت
 وسكن فيه ، و (القرار) أيضاً : المطمئن من الارض ، والمستقر الثابت منها . فقولنا (القعبري)
 معناه : الذي يوصلك بشدته وظلمه وعسفه الى آخر ما يمكن ان تصير اليه . وهذا هو من مزاي
 وأعمال أولئك الآلهة أهل النار ، فانهم أهل جور ، وجبر ، وبغي ، وطغي ، الى ما ضارع هذه
 الصفات الذميمة . فأنت ترى من هذا التحليل اللغوي الوجيز : ان العربية حلال للمشاكل ،
 مزيلة المعاضل ، مجيبة عن كثير من المسائل الجلائل !

(١) نحن لا نرى رأي الزحشرى بل نرى ان الكلمة تنظر الى اليونانية Hyperkheiria ومعناها : يفت أو يتجاوز اليد ، أو عبارة أخرى : لا تصل اليه يد المقتدرين من البشر ، وهي أيضاً من القاب (حراء) أي Héra التي يسميها الرومان يونون Iunon وهي من آلهة الحرافات الرومانية واليونانية أو من مزاعمهم الدينية

سقوط الشعر

للكنوز عبره رزق

طبيب مستشفى الميناء في الفاو بالعراق

الشعر اعضاء خيطية الشكل بارزة من طبقة الجلد الخارجية ومثبتة في ايكياس او حفر صغيرة كاثثة في أعماق جزء من الجلد ، وبعبارة أخرى في ادمة الجلد . وتقسم الشعرة من الناحية التشريحية الى ثلاثة اقسام وهي من أعلى الى أسفل : الساق والجذر والبصيلة . وتمتاز ادمة الجلد باحتوائها على حليمات الشعر وغدد العرق وأعصاب وأوعية دموية وعضلات وغدد دهنية . وعلى نشاط هذه الغدد في افرازها يتوقف لمعان ونضارة الشعر . بينما البشرة ، وهي الطبقة الظاهرة من الجلد ، لا تحتوي على شيء من هذا كله ، بل تقوم فقط مقام الغطاء للأدمة

ويوجد على جسم الانسان ثلاثة انواع من الشعر : شعر طويل ليسن : وهو شعر الرأس والعارضين (شعر اللحية) وكذا شعر الصدر احياناً ، وشعر قصير صلب : وهو شعر الحواجب والأهداب والأنف والأذن الخارجية ، وشعر لين زغبي : ويوجد على جميع سطح الجسم ماعدا الشفتين وراحة اليدين وأخص القدمين والوجه الظاهر لمفاصل اصابع اليدين والقدمين وبعض اعضاء أخرى

والفروق الجوهرية بين هذه الانواع هي ان شعر الرأس ينبت من جلده بزاوية مائلة . أما شعر الأهداب (الرموش) فينبت عمودياً تقريباً . ثم اتسا نجد في شعر الرأس عضلات دقيقة جداً ليس للانسان اي سيطرة عليها اي انه لا يمكنه تحريكها بمحض ارادته ، لكنها اذا انقبضت بسبب الخوف او الذعر الذي يتنابه احياناً ، أحدثت عنده انتصاباً في شعر الرأس ، فيقال في هذه الحالة ان فلاناً (وقف شعر رأسه)

واذا ما اردنا ان نفحص مجهرياً المقطع العرضي لشعرة ما نلاحظ انها مؤلفة من خلايا بشكل ثلاث طبقات دائرية ، والطبقة الوسطى من هذه الخلايا تحتوي على مقادير من حبيبات البكمنت Pigments التي تعطي للشعر لونه . والبكمنت هذا يختلف تبعاً لاختلاف الجنس

(سليمة) . فاذا خلا الجلد منه بالسكية غدا لون هذا الجلد ناصع البياض ، وكلما كثر ازداد لون الشعر سواداً ومال الى الأسود الفاحم . وهو يزول شيئاً فشيئاً تحت تأثير الشيخوخة او في الاصابة ببعض الامراض : ذلك هو السبب في حدوث الشيب عند الانسان . وقد لوحظ ان جلود الزنوج تحتوي على كميات من البكمنت اكثر مما تحتويه جلود الاجناس البيضاء والقاعدة المعروفة هي ان الشعر يتبدل لونه بتقدم السن ، غير ان لهذه القاعدة بمض الشذوذ . فكثير من الناس كما لا يخفى نراهم يبلغون العقد السابع او الثامن من العمر والقسم الاكبر من شعرهم لا يزال محفوظاً بلونه الأصلي دون ان يطرأ عليه تغيير يذكر . وبالعكس نجد اشخاصاً آخرين يتغير لون شعر رؤوسهم ، كله او جزء منه ، وهم لا يزالون في سن الثلاثين ، بل في سن العشرين أحياناً وهذه الظاهرة ليست خاصة بالانسان وحده بل انها تشاهد ايضاً في بعض الحيوانات كالكلاب والقطط والاحصنة وغيرها اذا ذعرت . وما يروى في هذا الصدد ان خنزيراً هاجم ديكاً فكاد ان يفترسه لو لم ينج هذا بأعجوبة ، فتبدل اذ ذاك لون ريش الديك في رأسه وعنقه من احمر وأسود الى ابيض ناصع بسبب الذعر الشديد الذي اصابه . وان شحروراً فوجيء يوماً في قفصه بهرراً وثب عليه فتوصلوا في الوقت اللازم لانقاذه من مخالب هذا الحيوان . لكن ريش الطير سقط في الأيام التالية على اثر هذه الحادثة . ولما نبت الشعر الجديد كان كله أبيض ناصعاً . وقد لوحظ ان تبدل لون الشعر عند الانسان يحصل أحياناً خلال بضعة أيام او خلال بضع ساعات تحت تأثير الصدمات العصبية والانفعالات النفسية الشديدة التي تتولد عن الخوف والفزع ايضاً ، وما حادثة الملكة ماري انطوانيت التي تغير لون شعر رأسها جزعاً بين عشية وضحاها عندما عرفت ما سيحل بها من القصاص الرهيب وهي أمام المقصلة ببعيدة عن أذهان القراء . وهكذا قل عن رئيس الديوان الملكي توماس موروس في عهد ملك انكلترا هنري الثامن ذاك الذي حكم عليه ايضاً بالاعدام بالمقصلة فتبدل لون شعر رأسه من اسود الى ابيض في الليلة السابقة لاعدامه

ومتوسط عدد شعر الانسان البالغ يبلغ ١٢٠.٠٠٠ شعرة عند ذوي الشعر الاسود ، و ١٤٠.٠٠٠ شعرة في رأس الشقر و أما مقدار شعر الجسم والوجه فيختلف باختلاف السليمة . ويجب ألا ننسى ان الورانة ونشاط الغدد ذات الافراز الداخلي يلعبان في ذلك دوراً هاماً

(كيف يسقط الشعر ؟) : لشعر الانسان دور معين وواضح جداً . فهو ينمو حين من الزمن ويبقى على طول محدود ثم يسقط ليحل مكانه شعر جديد . وهذا يصل بدوره الى حد

معين ثم يسقط كالأول . وهكذا تتكرر هذه العملية في الحياة ، والطبيعة تجتهد ان تملأ الفراغ المترك بالشعر الساقط . أما حياة الشعرة نفسها فتختلف من ٢ — ٤ سنوات ، ويلاحظ ان الشعر يتساقط باستمرار من فروة الرأس عندما يصل الى نهاية دوره لينمو موضعه شعر جديد ، وفي الحالات العادية ، اذا كان التوازن موجوداً بين هاتين الظاهرتين : أي سقوط الشعر القديم من جهة ، وبروز الشعر الجديد من جهة أخرى — فشعر الانسان يبقى آخذاً مقياساً واحداً مدة طويلة دون ان يفقد منه شيء يذكر . لكن يحدث أحياناً ان يكون سقوط الشعر غزيراً من رأس البعض ، او ان لا ينمو ثانية في رؤوس الآخرين لسبب مرضي ، ففي هذه الحالة يختل التوازن المشار اليه ويبتدىء الشعر الجديد يقل عن الشعر القديم تدريجاً ويحل الصلع قبل الأوان أي في سن الأربعين او الخمسين تقريباً بدلاً من سن الستين كما هي الحال عادة . فجيل الكثيرين للعوامل المؤدية الى هذه الحالة ، واعتقادهم بالمعجزات ، يفرانهم باستعمال كل مستحضر يقرأون او يسمعون عنه مما يباع عادة في الأسواق — تلك التي يقال عنها إنها تعيد نمو الشعر — تداركاً للامر قبل استفحاله

غير ان الصلع كثيراً ما يبتدىء عند بعضهم كما قلنا في سن الثلاثين او أقل من ذلك وهذه الحالة من شأنها ان تسبب للشبان الحزن والغم والانتقاص ، كأن هذا الصلع الباكر شيء يخيف بطاردهم أنسى حلتوا وحيثما ذهبوا . والأماكن التي يخف منها شعر الرأس أولاً هي كما هو معلوم القسم الأعلى من الجبهة ثم قمة الرأس فجانباه ، وكلما فقد الانسان من شعر هامته في هذه المواضع كلما ازدادت سرعة نمو الشعر في مؤخر الرأس وجانبيه كأن الطبيعة يناقض بعضها بعضاً من هذه الناحية

أما عند النساء فخلول الصلع أيضاً لا يختلف عما هو عند الرجال مع اختلاف جزئي فقط ، فهو يبتدىء بنفس السن كما هو عند الرجال لكن سقوط الشعر عندهن يحدث في النصف الأمامي من فروة الرأس دون القمة ، والشعر يخف شيئاً فشيئاً لكنه لا يترك بوجه عام مكاناً عارياً تماماً كما هو المشاهد عادة عند الرجال

﴿ أسباب سقوط الشعر المبكر ﴾ : لاوراثية كما قلنا تأثير كبير في هذه الناحية . ففي بعض العائلات يبتدىء الصلع عند الرجال في سن الثلاثين . والواقع أن الطب لا يعرف للآن سبباً في سقوط الشعر المبكر في بعض الحالات . انما نعرف ان جميع الأشخاص المصابين بالصلع المبكر يكون شعرهم كثير الدهن قبل سن العشرين وتساقط منه قشور رقيقة بكثرة ، ثم تقطع هذه القشور عن السقوط لالتصاقها بالجلد بسبب ازدياد المادة الدهنية فيه والتي تغطي فروة الرأس بطبقة مخينة

كثيرة . واذا حاولنا أن نزيل تلك المادة الدهنية عن الجلد بفعل الرأس أولاً بالماء الفاتر والصابون ثم بالبنزين أو الكحول بدرجة ٧٠ ٪ فالشعر يقل سقوطه ولكن الجلد لا يلبث ان يعود دهنيًا كما كان

وقد يكون سقوط الشعر المبكر نتيجة ضعف البنية الطبيعي أو من الإصابة ببعض الأمراض الحادة كالحمى التيفية والحمى القرمزية والبنمونيا والحمرة ، أو مزمنة كالزهري أو السل الرئوي . وكذلك من بعض الأمراض الموضعية كالقرع والاكريميا والحزازة ودامل فروة الرأس والذقن والقوبة التي تؤدي الى نفس النتيجة

﴿ ما الذي يجب عمله منعاً لسقوط الشعر المبكر ؟ ﴾ : قبل كل شيء يجب أن نقول انه لا يمكن شفاء الصلع واعادة نمو الشعر الى حالته الأصلية . فالنجاح الذي حصل باتباع بعض العلاجات يُعزى الى حالات من الصلع الخاص كسقوط الشعر الذي يعقب الحُميات كالحمى التيفية مثلاً أو الحمى القرمزية . فكل ما يمكن عمله من هذه الناحية هو توقيف السقوط وتأخير سير المرض الى بضع سنين غير ان طريقة الوصول الى هذه النتيجة تختلف فيما اذا كان المصاب رجلاً أو امرأة

﴿ عند الرجل ﴾ : لا بدّ في هذه الحالة من الاعتناء بنظافة الشعر يوميًا واستعمال الوسائط المزيّلة للمادة الدهنية الزائدة الموجودة على فروة الرأس وأيسر شيء لذلك هو غسل الشعر بالماء الفاتر والصابون . وأفضل صابون لهذه الغاية هو صابون بناما . وبعد الانتهاء من هذه العملية يغسل الرأس جيداً لازالة ما قد يبقى فيه من الصابون ثم يجفف ويُفرك بمنشفة خشنة الى أن يحمرّ الجلد . ولا خوف من سقوط بعض الشعر بعد هذا الغسل لان هذا الشعر يكون ميتاً ولاصقاً بالجلد . فباستعمال هذه الطريقة لا يلبث ان يخفّ سقوط الشعر في الايام التالية بصورة جلية وأكيدة

وبعد ذلك يُفرك الرأس جيداً بالكحول الاثيري او غيره من المستحضرات المفيدة والمعروفة بأنّها تساعد على نمو الشعر

وفي حالة وجود قشور كثيرة جافة أو دهنية على الرأس ، يستعمل المصاب عند المساء ، مرتين او ثلاث مرات اسبوعياً ، مستحضراً من زيت الكاد والكبريت حسب التركيب التالي ، وعند الصباح يُفرك الرأس بالكحول الاثيري

زيت الكاد ٤ غرامات

كبريت مرسب ١ غرام

فازيلين ولا نولين (من كل واحد) ١٢ غراماً

ويمكن أيضاً إزالة القشور الجافة بفصل الشعر مرتين في الاسبوع بصابون القطران النقي ثم غسله بعد ذلك بالماء الصافي

وإذا كان سقوط الشعر نتيجة ضعف البنية تستعمل العلاجات المقوية التي يصفها الطبيب وغسل الرأس صباح كل يوم بالماء البارد وفركه بمنشفة خشنة حتى يحمر الجلد ويستعمل دهان السكايتال Capitale بالفرشاة ، أو دهان زيت البندق والكيينا المجهز Huile de noisettes au quinquina

(عند المرأة) : العلاج هو نفسه غير أن استعماله أصعب مما عند الرجل نظراً لطول الشعر عندهن . وعلى كل يقص طرف الشعر عن الرأس كله ثم يفصل الشعر الطويل ويقص طرف القصير الضعيف منه مرة كل عشرة أيام ، ثم يفرك جلد فروة الرأس غالباً بالكحول الاثيري بقطعة قطن والافضل بفرشاة أسنان بعد فرق خصل الشعر بالمشط على بعد سنتيمترين الواحدة عن الأخرى . أما من جهة غسل الرأس بالماء والصابون فلا يلجأ إليه عندهن إلا مرة واحدة كل ١٠ أو ١٥ يوماً ، ويخفف الشعر بمنشفة خشنة بعد هذا الغسل ويفرش على اليدين ويعمل له (دوش) هواء حار بواسطة المشعة Radiateur ، أو يكوى بالكواة لتجفيفه بعد فرشته بين طيات المنشفة



بقيت كلمة أخرى حول تمسيد الشعر منعاً لسقوطه

قلنا إن جلد فروة الرأس الذي يثبت فيه الشعر لا يتحرك . نعم أنه توجد عضلات تحت الجلد لكنها لا تقوم في الواقع بعمل ما وليس للانسان أي سيطرة كانت عليها . فالدورة الدموية تكون اذ ذاك بطيئة جداً في هذه المنطقة وبسبب ذلك لا يتغذى الجلد تغذية كافية فيفقد حينئذ ما فيه من الشعر بكميات متفاوتة مع الزمن . والسبب الذي لاجله تكون النساء أقل تضرراً بكثير للصلع من الرجال هو لأنهن بعنيتين ويحافظن دائماً على شعرهن من تمشيط وتنظيف بالفرشاة واستعمال بعض المستحضرات المعروفة المقوية للشعر وهذه كلها بلا ريب ذات فائدة كبيرة لتنشيط الدورة الدموية في جلد الرأس وتغذية الشعر . وبما ان بصيلات هذا الشعر لم تكن قد ماتت وقت سقوطه فتسميده وتدليك في هذه الحالة مفيدان كثيراً . نعم ان مقداراً وافرأ من الشعر يسقط في بدء استعمال هذه العملية لكن هذا يجب ان لا يقلق البال لاجله : فالمشيط او التمسيد لا يعملان الا على إزالة الشعر الميت الذي لا بد من سقوطه في خلال الايام التالية ، مع تقوية الشعر السليم الصالح الباقي وتنشيطه في الوقت نفسه

رحلة ابن بطوطة

وما تنطوي عليه من نبات وشجر

لمحمد مصطفى الدمياطي

— ٤ —

وعند مروره بالجافة (بلاد المسلمين) ومثل جافة (بلاد الكفار) أي الملايو ذكر اللبان والكافور والعود الهندي والقرنفل

١ — فقال عن اللبان « وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى ما دون ذلك وأغصانها كأغصان الخرشف وأوراقها صفار رقاق وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغية تكون في أغصانها وهي في بلاد المسلمين أكثر منها في بلاد الكفار » — وأقول إن شجرة اللبان تسمى باللسان النباني (*Boswellia thurifera*, Roxb. = *Boswellia* (Serrata, Roxb. (*Boswellia Carteri*, Birdw.) وفصيلتها البخورية (*Burseraceae*) وبالانجليزية (*frankincense tree*) وبالفرنسية (*arbre à l'encens*) وتنتج ببلاد الصومال وتلال الهند الجافة . وريقاتها مستطيلة منفرجة القمم منشورية الحيفاف مغطاة بشعرات دقاق ملس . وزهرها عبارة عن عناقيد (راسيات) تنشأ فرادى في آباط الأوراق وتكون أقصر منها . ويعرف صمغها باللبان أو البخور وبالفارسية « كندر » ^(١) وكثيراً ما يتبخر به

(١) *frankincense or gum — olibanum* وقد جاء في كشف الرموز في بيان الاعشاب للشيخ عبد الرزاق بن احمدوش الجزائري في مادة (كندر) هو اللبان حصا لبان حار في الثانية يابس في الاولى منه ذكر مستدير الشكل صلب ومنه انثى غير ذلك ومنه الجاوي وهو حصا لبان بالحقيقة والكل سواء في الفعل والاكتثار من اكل الكندر يورث الجذام والوسواس والبرص وينفع من وجع المعدة والحلقان ويرفع الاسهال واذا شرب بالعسل قتت الحصا من السككى والمثانة وأكله يورث الذكاء والبخور به حسن

في معابد الهند ولكنه قد يستعمل ايضاً دواءً مقوياً وقابضاً وممرقاً
ويصفه الأطباء الوطنيون من الهند بمزجاً بالسمن المصفى في علاج مرضي « السيلان »
و « سيلان الدم »

٢ — وقال عن الكافور « وأما شجر الكافور فهي قصب كقصب بلادنا إلا أن
الأنابيب منها أطول وأغلظ ويكون الكافور في داخل الأنابيب فإذا كسرت القصب وجد في
داخل الأنبوب مثل شكله من الكافور . والسر العجيب فيه أنه لا يتكوّن في تلك القصب حتى
يذبح عند أصولها شيء من الحيوان والألم يتكوّن شيء منه والطيب المتناهي في البرودة الذي
يقبل منه وزن الدرهم بتجميد الروح وهو المسمى عندهم بالحر دالة هو الذي يذبح عند قصبه
الآدمي ويقوم مقام الآدمي في ذلك الفيلة الصغار »

— وأقول إن شجرة الكافور تسمى باللسان النباتي (Cinnamomum Camphora) (T. Nees & Ehem).
وفصيلتها الغارية (Lauraceae) وبالانجليزية (Camphor) وبالفرنسية (Camphrier) أصلها من اليابان وجزيرة فورموزا ولا تثبت حتى الآن إلا
قليلاً في غيرها

وهي شجرة ذات فروع رخوة مُلّس . أوراقها كالجلد نوعاً ما خضّر نضرة وبرّاقة من
أعلىها وأشحب لوناً من أسفلها ، في الواحدة منها غُدّة غائصة عند آباط العروق الأساسية تنبثق
من السطح العلوي وتفتح بمسمّ يبضي من أسفل . وذيّبات الأوراق نحيلة مُلّس وطولها بوصة
أو بوصة ونصف

والزهر عبارة عن « بانيكولات » إبطية وطرفية مشطية الشكل عُريانة . والزهرات
مُلّس من خارجها . ويتحصل على الكافور الصيني من الحشب والفروع والأوراق بطريقة
التقطير الجافة وهو ضرب من الستياروبتين^(١) المتبقي بعد تحوّل الأليوبتين أو الدهن الأثيري^(٢)
من الشجرة الحية الى بخار . ويتحصل على كافور المتجر من جزيرة فورموزا على الأخص
ومنها ينقل الى كاتون بالصين بكميات كبيرة جداً لامتداد المتاجر الأجنبية . وفي المدة
الأخيرة عزمت اليابان على احتكار الكافور فكان هذا مدعاة لتشجيع غرس اشجاره في
البلدان الأخرى حتى أصبح يزرع منها الآن في سيلان نحو ألف فدان انجليزي (إبكر) كما
أخذت زراعته تنتشر في جهات غيرها

هذا وإذا بلغت شجرة الكافور الثامنة من عمرها يمكن ان يستخرج منها الكافور فقطع

الأغصان الصغيرة وتقطر بواسطة البخار ويمكن الحصول منها على ما يعادل $\frac{1}{4}$ في المائة من وزنها (١)

٣ — وقال عن العود الهندي «وأما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له وشجرته لاتعظم كل العظم وعروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرية وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها وكل ما يبلاد المسلمين من شجره فهو متملك وأما الذي في بلاد الكفار فأكثره غير متملك والمتملك منه ما كان بقاقله وهو أطيب العود وكذلك القاري هو أطيب انواع العود ويبيعونه لأهل الجاوة بالاثواب ومن القاري صنف يطبع عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن في التراب أشهراً فبقى فيه قوته وهو من أعجب انواعه»

— وأقول إن شجرة العود الهندي (٢) تسمى باللسان النباتي (Aquilaria Agallocha, Roxb.) وفصيلتها التيميلية والمازريونية (Thymelaeaceae) وبالانجليزية (agallocha, agallochum) وبالفرنسية (agalloche, bois d'aloès) تنبت في سيلمت وأسقام وهي ضخمة دائماً الاخضرار أوراقها بسيطة متبادلة ذوات ذنبيات وزهرها صيواني الشكل كثير الزهرات البيض وثمرتها عليية منضغطة حجمها $\frac{1}{4}$ — ٢ بوصة

هذا ويتحصل من هذه الشجرة على خشب العود الشهير منذ القدم والذي يستعمل في بلاد الهند دواء وطيباً

٤ — وقال عن القرنفل «وأما اشجار القرنفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الاسلام وليست بملكية لكثرتها والمجلوب الى بلادنا منها هو العيدان والذي يسميه أهل بلادنا نوار القرنفل هو الذي يسقط من زهره وهو شبيه زهر النارج وثمر القرنفل هو جوز بوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البسباسة الى آخر ما ذكره»

(١) وجاء في كشف الرموز المذكور آنفاً في مادة (كافور) بارد يابس في الثالثة وهو صمغ شجرة عظيمة تألفها النسور والتمور فلا يوصل اليها الا في وقت معلوم فيؤخذ هذا الصمغ منها ويفسل ويصفى فيصير الى ما ترى من البياض وخاصيته يقطع الجماع كيفما استعمل حتى كثرة شمه ويسرع بالشيب

(٢) وجاء في كشف الرموز كذلك في مادة (عود) هو عود القماري حار يابس في الثانية مثل الصندل يقوي المعدة شرباً وشماً يقوي القلب وجيم الاعضاء الباطنة كلها وطرده الرياح وفتح السدد وينفع من ذات الجنب ويقوي الدماغ وينذهب برائحة الفم وقروح الامعاء ويقوي المصعب ويفرح

— وأقول ان القرقل^(١) شيء وجوز بوا^(٢) المعروفة بجوزة الطيب شيء آخر
(أ) فشجرة القرقل تسمى باللسان النباتي (Eugenia Caryophyllata, Thunb.)
(Caryophyllus aromaticus, L.) وفصيلتها الآسية (Myrtaceae) وبالانجليزية
(clove) وبالفرنسية (giroffier) أصلها من جزائر ملوكا وقد احتكرها الهولنديون في
بدء الأمر زمناً طويلاً وأخيراً أدخل الفرنسيون غرسها في «كان» ومن هناك أدخلت الهند
ثم انتشرت حديثاً في أنحاء كثيرة من العالم. وشجرة القرقل متوسطة الحجم تبلغ في ارتفاعها نحو
تسعة أمتار وتوجد في الأراضي القوية وعلى ارتفاع ٤٥٠ متر من مستوى البحر وتبدأ في
الازهار في سنتها السادسة، ويجمع القرقل ويحفظ قبل إصداره وهو عبارة عن البراعم الزهرية
المجففة هذا ودهن القرقل دواء معروف لوجع الاسنان

(ب) وشجرة جوز الطيب تسمى باللسان النباتي (Myristica moschata, Thunb.)
(Myristica fragrans, Houtt.) وفصيلتها الميرستكية (Myristicaceae) وبالانجليزية
(nutmeg tree) وبالفرنسية (muscadier) أصلها من جزائر ملوكا ويبلغ ارتفاعها
٩ — ١٥ متراً وهي دائمة الاخضرار وتوجد في الأراضي القوية في مستوى لا يزيد ارتفاعه عن
٤٥٠ — ٥٥٠ متر عن سطح البحر ذلك بأن يلتقي النوى في الارض على ان تكون المسافة بين
النواة والأخرى تسعة أمتار. وتبدأ الشجرة في الازهار في سنتها السابعة وتستمر على ذلك
حتى تبلغ المائة سنة. والثمرة تشبه البرفوفة الكبيرة الصفراء، وعند تمام نضجها تنفصل القشرة
عن الجوزة (النواة) وكلاهما مرغوب فيه لاشتمالهما على دهن طيار يحطهما مقويين في التداوي
فاذا تموتيا بكميات قليلة أقادا في تخفيف تطبل البطن بالغازات وسكنها الأوجاع المغصية ولكن
نقاطيها بمقادير كبيرة ينشأ عنه تهيج في الدورة الدموية ويكون فعلها التخدير. هذا وقد
احتكر الهولنديون حيناً جوزة الطيب ثم شاطروهم الفرنسيون بعدئذ هذا الاحتكار حيناً آخر
الى ان عم الاتجار بها العالم، ويظن أن من أسباب انتشار جوزة الطيب في غير موطنها الأصلي
بجزائر ملوكا ان بعض الحمام الكبير الذي يهاجر من تلك الجزائر يتلع الثمرة ثم يحتفظ بقشرتها
وبلفظ النواة فتقع في البقاع الجديدة التي هاجر اليها وتنت

(١) وجاء في كشف الرموز في مادة (قرقل) حار يابس في الثانية وقيل حار في الثالثة ينفع القلب
والكبد والمعدة وجميع الاعضاء الباطنة ويقطع سلس البول والتقطير اذا كان عن برد ويعمل البطن ويطرد
الرياح ويهضم ويمين على الباءة واذا شرب منه نصف درهم مع الحليب قوى على الجماع ويسخن أرحام
النساء ويشجع القلب وأصحاب السوداء ويفرح النفس وينفع من القيء والغثيان ويحد البصر اكتحالاً وينفع
من الغشاوة والسيل ومن خواصه اذا ابتلعت منه المرأة كل يوم حبة شهراً كاملاً لم تحمل والمرأة التي لاتلد
تشرّب في كل يوم طهر درهمين في مرق حمام أو ضان فانها تحمل باذن الله وينفع من الاستسقاء للحمى شرباً
وطلاء (٢) وجاء في الكتاب المذكور في مادة (جوز بوا) هو جوزة الطيب حار يابس في الثانية وقيل
في الثالثة وهو يطيب النكهة ويذهب بالبخر ويهضم الطعام ويقوي الكبد والمعدة ويزيل ورم الكبد والطحال الجاسي

عودة الملاح

لشاعر العرش البريطاني جون ماسفيلد

[من كتاب « ارواح شاردة »
للاستاذ علي محمود طه يصدر بعد أيام]

يا فرحتي ! للبحر أرجعُ ثانياً متفرداً بعبابه وسمائه
أقصى مُنْأَيَ سفينتهُ مَشْوَقةُ وبزوغِ نجمٍ أهتدى بضيائه
وصرير دَقَّتِها ، وعزفُ رياحه وخفوقُ قلعٍ أبيضٍ في مائه
وأرى الضبابَ يرفُ فوق جبينه في شأهِبٍ من لونه وروائه
يجلوه أَلأَقُ رمادي السُفَى متطلعٌ بالفجر خَلْفَ فضاءه

يا فرحتي ! للبحر أرجعُ ثانياً كما أَلِي المدَّ في طفراته
هذا المَبحرُ ، لستُ أنكر صوتَه ، إنَّ الوضوحَ يشعُ في نبراته
أقصى مُنْأَيَ لديه يومٌ عاصفٌ يهفو رقيقُ الغيمِ في سُبُحاته
حيث الرشاشُ المستطارُ وتحتَه زبدٌ يفورُ الرغوى ملءَ كُرَّاته
وضجيجُ زُمُجٍ مائه متَجَبَّطاً بالموجِ وهو يثير من صرخانه

يا فرحتي ! للبحر أرجعُ ثانياً جوابَ آفاقٍ غريبٍ مسالكِ
أطوي مسارحَ طيره ، ومسابحاً للحوثِ عبرَ طريقي المتشابكِ
حيث الرياحُ كأنما وخزائنها حزُّ المَدَى وشبَّابِ الحسامِ الفاتكِ
أقصى مُنْأَيَ روايتهُ محبوكةُ من نسجِ قرصانٍ طروبٍ ضاحكِ
ولنبدُ أحلامٍ . وقد طاب الكرى وترايلتُ صُورُ هُناكَ تواركي !

عينان معصوبتان...

== قصة مصرية ==

بقلم محمود كامل المحامي

(ساعة مبكرة من ساعات الصباح . التليفون يبدق دقات سريعة ناثرة في غرفته... هو ... نحأت شاب يقطن منزلاً مكوناً من غرفتين وهو حوله الى « معمل » يقوم فيه بنحت تماثيله الجديدة . أما هي ففي طرف القاهرة الآخر . « فيلا » تحيط بها حديقة صغيرة في « الزيتون » أحدها لا يرى الآخر لأن مسافة بعيدة تفصل بينهما)

هي — سعدت صباحاً

هو — سعدت صباحاً يا آنسي .. من أنت ؟

هي — أياهمك هذا ؟ هو — كيف لايهني ؟ ألا أعرف من يحدثني ؟

هي — (واحد)

هو — انا واثق من هذا . ان صوتك ليس من الحشونة بحيث يجعلني

أشك في انك .. انك فتاة هي — هل بدأت ؟ هو — ماذا ؟

هي — هل بدأت تسخر ؟ هو — أتعرفين عني انني مغرم بالسخرية ؟

هي — يبدو ذلك من نظرتك هو — وكيف تعرفين ؟

هي — رأيتك هو — متى ؟

هي — أكثر من مرة هو — أين ؟

هي — في أكثر من مكان . هنا وفي الاسكندرية هو — ولكن ..

هي — ولكن ماذا ؟ هو — ولكن من أنت يا آنسي ؟

هي — أوه ! انك تشوّه جمال حديثنا بهذا الالحاح

هو — أنا لا أُلح . ان معرفة اسمك لا تمنني الى الحد الذي تتوهمين

هي — لو لم تكن مغروراً

هو — عجيباً ! أليس من حق ان أعرف من يحدثني في منزلي ؟

هي — ستعرف هو — متى ؟

هي — فيما بعد .. أترك هذا الآن . انني أريد ان أتعرف رأيتك في أمر يهني

هو — رأيي أنا ؟

هي — أجل هو — من أين جاءتك هذه الثقة بي ؟

هي — لست أدري . انه شعور قديم يعود الى اليوم الذي رأيت فيه أوّل

تماثيلك الرخامية الصغيرة التي كنت تعرضها في سراي تجران ... ذلك

التمثال الذي يمثل المرأة (العجورية) التي تحمل طفلها على كتفها .

أتدري ماذا شعرت وأنا واقفة أمامه ؟ هو — لا أستطيع ان أجزم

هي — شعرت انك تحمل هم تلك المرأة التي كانت الكآبة تبدو على قسماتها ،

وهم كل امرأة تعسة في هذا العالم هو — انني أخاف من هذا المديح

هي — لا تخف ... بالعكس ... ستري بعد ان تعرفني ان هناك أشياء أخرى

ستخاف منها هو — مثلاً ؟

هي — انني أعرف أنك لم تحب بعد .. الشيء الذي عليك ان تخافه اذا رأيته

هو أنك مسوق الى حبك الاول ! هو — لو لم تكوني مغرورة !

هي — لا تقلدني ! ولا تسرق كلماتي .. انني أعرف أنك بعد ان سمعت

مدبجي خيل اليك انني امرأة اعتادت ان تنملق الرجال . أنت واهم

.. انني اعتدت على العكس ان أتلقى مديحهم .. انني أنال « نجاحاً »

حيثما ذهبت ... هذا الصيف مثلاً ... لقد رأيتك أكثر من مرة في

« جلیم » مررت أمامي على بعد بضعة خطوات . لا بد أنك رأيتني

ولو أنك كنت تتعمد اخفاء عينيك بتلك « النظارة » ذات الزجاج

الاسود ... لقد كنت أشرق وجهي في ذلك الشاطئ المحترق بالوجوه

الرشيقة ... لا أذكر ان رجلاً رأيته دون ان يغرقني في سيل من

كلمات الثناء والاعجاب هو — ولم كل هذه « المحاضرة » ؟

هي — لان الكثيرين يخجل اليهم ان المرأة التي تبدأ رجلاً بمشاغبتها

« التليفونية » لا بد أن تكون دميمة هو — أنا لم اقل ذلك

هي — ولكنك ربما سمعت الآخريين يقولونه

هو — اعتدت ألا أصدق كل ما يقال لي
هي — ستصدق ما قلته لك الآن عن نفسي عند ما تراني
هو — اراك تكرر ين « عند ما تراني » . . . كأنك توحين الي أن أطلب
رؤيتك ا هي — ألا تريد ؟

هو — دون أن أعرف من أنت ؟ هي — أجل هو — لا أظن
هي — أنت صريح . . . لا . . . أكثر من ذلك . جري . هو — هذا عبي
هي — أترأه عيباً . اني لذلك أتحدث اليك هو — ها نذا استمع اليك
هي — أترى انك طيب القلب دون أن تعرف هو — يضحكني هذا الوصف
هي — أوكد لك أنك تظن في نفسك القسوة . . . ولذا تسير دائماً مابس الوجه
مقطب الحيين . . . لقد قلت لك اني رأيتك اكثر من مرة . أندري ؟
لقد خيل الي ذات مرة بعد أن رأيتك أن أصبح : « يا باي ا »
هو — ولم عدلت ؟

هي — لانني كنت اعزم ان اتحدث اليك كما افعل الآن . ولم اكن أود ان
استلقت نظرك الي . . .

هو — قلت لك انني استمع اليك هي — هل أنت على عجل ؟
هو — لا . . . اني سعيد اذ أجد منك هذه الثقة
هي — صوتك يوحي بها . . . ان الموضوع الذي سأحدثك عنه له اوثق الصلة
بجياتي كلها . . . التي تتحدث اليك الآن ليست (آنسة) كما خيل اليك .
انها زوجة . . . في الرابعة والعشرين . . . جميلة كما قلت . تلفت
اكبر قسط من التعليم يمكن ان تتلقاه فتاة مصرية . لها ميل طبيعي الى
كل ما هو جميل ونقي . . . تتذوق الصورة الفنية الموفقة . وتنتصت الى
النغمة الموسيقية حينما كانت هذه النغمة . . . في خريف الماء المتساقط
من أفواه « الساقية » التي تجرها بقرتان معصوبتا العينين وسط حقن
« العزبة » . أو المرتطم بصخور الجزء الثاني البعيد من شاطئ « جليم »
حيث يأبى المصطافون والمصطافات أن يذهبوا لانهم يحبون — لسخفهم —
الضجة وبأفون من الهدوء . أو في ارتجاف القطرات المنهمرة على

زجاج غرفتها المغلقة في ليلة ممطرة من ليالي الشتاء . وتقف طويلاً أمام التماثيل التي تعبر عن عاطفة أو فكرة انسانية . يدق فهمها على غيرها . . . وهي معروفة بين زميلاتها بسمو ذوقها في اختيار الثياب . . . انه ذوق « أصيل » بشهادة الجميع . . . كما انها تختلف عن الكثيرات من المصريات في أنها تستيقظ من نومها مبكرة لكي تسرع أحياناً بارتداء ثوب أنيق من ثياب « الغرفة » وأحياناً أخرى بارتداء « بيجامة » افرغت في (حياكتها) كل ذلك الذوق الذي حدثت عنه . . . كما أنها لا تذكر أنها قابلت زوجها أو أحداً من أهله . في أية ساعة من ساعات النهار الا وهي متعطرة بالعطر الذي جعلته يحبها كما تحبه هي لانه عطر شاعر . يرتفع بالروح الى جوارحهم من الجو الذي يعيش فيه الناس . هذه هي المرأة التي تتحدث اليك الآن لتقول لك أنها رغم ذلك كله تعسة التعاسة كلها بل أنها تكاد تكون أتعس نساء الارض هو — وكيف ؟

هي — لانها تبين ان زوجها . الرجل الذي أحبته دون سائر الرجال والذي وهبت له أعز ما تملك .. قلبها ... قد خانها هو — خانها ! هي — أجل . خانها مع فتاة أخرى هو — ولم ؟ هي — وهل هناك أسباب يستند اليها الرجال عادة قبل البدء بخيانة النساء اللاتي يحبينهم ؟

وسادت فترة صمت طويلة . وخيل اليه ان صوت نجيب بعيد تحمله أسلاك التليفون الى أذنه . وأحس بشعور غريب يستولي عليه نحو تلك المجهولة التي تتحدث اليه . . . شعور من الرحمة والرفق والدعة والحنان

هو — وماذا تريد مني يا سيدتي ؟ هي — لست أدري . انني أبكي الآن وأنا مرتاحة . . ألا يدهشك هذا ! حتى البكاء لا يستطيعه امام الناس . انني اعتدت ان أبعدو امامهم مظهرة بالفرح والسعادة . ان من الشاق العسير على شابة مثلي في الرابعة والعشرين ان تشير شماعة الناس بها . . . لذلك أظهار بالضحك

وقلبي يدعي ... أقسم لك انني أحياناً استغرق في الضحك لأنفه
الاسباب حتى يتعب صدري ... لانني أكون إذ ذاك فريسة أزمة
نفسية جادة من ازمات السخوط على هذا الحظ الذي نكبني وأنا بعد في
سن لا يحتمل أهوال النكبات ... لم أرتكب ذنباً . انني لم أسيء قط
الى أحد . لا أذكر انني اقترفت أثماً استحق ان أجازي عليه هذا الجزاء
هو — أنك اذكي من ان تضعني هذا الضعف يا سيدي . من يدري ؟
ربما مهدت هذه العاصفة التي اجتاحت منزلك لحياة أرغد وأسعد .
انني أذكر قولاً لالفونس دوديه أجراه على لسان احدى بطالات
قصته الخالدة « سافو » هل قرأتها ؟

هي — أجل .. وأكاد أحفظها عن ظهر قلب ... ما هو ؟
هو — « اذا أردت ان تحتفظي بالرجل جيداً فاتركي له شيئاً من الحرية
وتظاهري بأنك لم تقطني الى زلاته »

هي — أرجوك ألا تنصحيني على الوتيرة التي ينصحني بها الآخرون . انني لم
أحدث اليك لأتلقى هذه العظات التي أعرفها قبل ان أسمعها منك
هو — آسف يا سيدي اذ جعلتك تتورن فجأة بسبب هذه النصيحة . هل لي
ان اسألك مرة ثانية « ماذا تريد مني اذن ؟ »

هي — أن تدعني أبكي هو — فقط ؟

هي — أجل ... دعني أبكي فقط لانني محرومة من ان أبكي أمام الناس
المتصلين بي . القريبين مني . ان والدتي نصحتني كما نصحت عجوز
قصة « سافو » الصغيرة ابرن ان اغمض عيني عن خيانة زوجي
واستدلت على ذلك بأن ابي كان في شبابه قد اعتاد السهر خارج
المنزل الى ساعة متأخرة من الليل وذاع عنه انه اتصل باحدى
الراقصات . فلما تركته مدة طويلة انتهى بأن تاب الى رشده .
والتفت الى اسرته .. أنا لا افهم هذا النوع من النصائح لانني
لا أطلب من الحياة الا أن اعيش هذه الأعوام القليلة في الحب الذي
كنت أحلم به في طفولتي ... هل يزعجك ان ابكي هكذا بين يديك

بضع دقائق في كل يوم؟ هو — كلاً... ولكن؟

هي — ولكن ماذا... أكاد أثق انني أزججتك

هو — لا ولكن لم اخترني لهذا الموقف الأليم؟ ان اقف مكتوف الذراعين

امام سيدة شابة مثلك تبكي بحرارة

هي — ألا تعرف لم؟ هو — ربما... ولكنني اريد ان اسمع منك

هي — آه! لو أنك قلت من هذا الاعتزاز بنفسك... كنت أظن انني أصلب

رأياً من أن أضف امام رجل فاعترف له. وفي أول مرة اتحدث

اليه بأمر كهذا؟ هو — وما هو؟

هي — منذ رأيتك لأول مرة شعرت بأنك الرجل الوحيد الذي يمكن أن

أثق به. انني أعرف نفسي عنيدة وعصية. ولكن لست أدري

ماذا دهاني بعد أن تحدثت اليك... ألا تشاركني نفس الاحساس؟

انني أحس... أحس بأنني مسوقة اليك معصوبة العينين. مادة

الذراعين ومع ذلك فاني أسير على هدى كانني أعرف أين تقطن على

أن أحداً لم يخبرني بمكانك ولوسألتني عنه الآن لما استطعت أن أصفه

لك. انني أتحدث اليك الآن وأنا أضع يدي على عيني كمصاصة وأنخيل

كل شيء يحيط بك. قل لي. هل أغلقت نوافذ غرفتك لتتقي حر هذا اليوم؟

هو — أجل... ولكنني أشكو من ألم في عيني اليسرى هي — لم؟

هو — كنت قادماً بالسيارة من الاسكندرية فأصاب تلك العين هواء بارد

اثناء الطريق

هي — أوه! انك تهمل نفسك كطفل مدلل. أعندك بعض أقراص الاسبرين؟

هو — أجل... في درج مكتبي هي — وكوب ماء؟

هو — اتحدث اليك وأنا أمسك بها هي — تناول هذا القرص

هو — ها نذا أفعل هي — ستري... أنك ستسريح بعد قليل

هو — ستسخرين مني اذا قلت لك انني أشكو من هذا الألم الشديد منذ

أمس وأقراص «الاسبرين» عندي دون أن أذكر أنها هنا

هي — الى ان ذكرت لك انا.. انني أكاد أعرف كل شيء عنك دون ان

أعيش معك . لقد كنت أقول لك انني لو عصبوا عيني لأقبلت اليك ..
ووقفت امام باب منزلك . ثم فتحت . وصعدت السلم درجة درجة .
ثم تقدمت على أطراف أصابعي ووقفت خلفك وأنت تعمل في احد ثمايلك ..
هو — ولم هذه العصابة على عينيك؟

هي — لست ادري ! ألم أحدثك الآن عن تلك البقرة التي تربط الى ساقية
القرية معصوبة العينين ولو انهم رفعوا تلك العصابة ما استطاعت ان
تدور حول هذا القدر المحتوم شهوراً وأعواماً .. أنا أيضاً أعرف
انني ارتكب خطأ اذ أسعى اليك .. ولكنني أحس بأنني منساقفة
اليك .. قلت لك ان شيئاً يدفعني نحوك وأنا كما صارحتك عيدة عصية .
ولو أفقت وفتحت عيني لثرت على نفسي وعليك . ولذا أفضل أن تعصب
عيناي لكي أدور حولك كما لو كنت أدور حول قدر محتوم دون ان
أنضجر او أنور ... هو — مدهشة

هي — كنت مدهشة . ولكنني أحس الآن انني كغيري من النساء يتعالين على
جميع الرجال . ويخضعن رجل واحد .. هو — ماذا تريدان الآن ؟
هي — أراك لا تعلق على كلماتي الأخيرة كأنك توافق على أنك أخضعتني !
هو — ألا أستطيع ان أعرف ماذا تريدان الآن ؟

هي — (بيجامة) وردية اللون

هو — انني لا أحب لون الورد في ثياب المنزل

هي — .. انتظر قليلاً .. انهم ينادونني هنا « وبعد قليل عادت اليه »

هو — فيم كانوا يطلبونك ؟

هي — لا شيء .. لقد أبدلت (البيجامة) الحمراء بثوب أزرق

هو — انه لون مرجع هي — ما هو الازرق في غرفتك ؟

هو — كل شيء فيها .. جدرانها ... بساطها ... غطاء مصباحها وستر التمايل

التي انتهى نحتها

هي — ان هذه الستر الزرقاء قد تراكم عليها تراب خفيف ؟

هو — أجل . شيء أشكو منه ولا سبيل الى رفعه

هي — انني أميل الى الاعتقاد ان حياتك مجدبة من امرأة تبعث فيها شيئاً من الحنان. امرأة تفهمك وتعينك على تحقيق اطمالك في المجد الذي تشده هو — أتحدث اليك الآن والقطعة تأكل أحد جواربي على عتبة الباب

وقمص (الاسموكنج) معلق أمامي دون كي كما تركته في فجر يوم رأس السنة . أي منذ أكثر من ثمانية شهور . . . والعنكبوت يرسم أشكالاً هندسية عجيبية على بعض دواوين الشعر التي تضمها مكتبتي

هي — تخيلني الآن وقد أقبلت اليك . في غرفتك . أزيل كل ما تشكو منه وأحمل معي باقة من الورد الابيض أضعها في آنية خزفية على مكتبك الذي يتوسط الغرفة . ثم أجلس في هذا الثوب الازرق الذي تحبه لأقضي الوقت في رسم صورة فخمية لاحدى تماثيلك التي أحس أنك تعجب بها وتفضلها على غيرها حتى تعود من عملك في الخارج . فأستقبلك عند الباب . . . يسبقني العطر الذي تحبه . . . أتناول الكتب والمجلات التي تحملها . أحملها عنك وأضعها مرتبة على المكتب لتزينه كأنه كان ينقصها ! ثم أقدم لك الطعام الذي أكون قد أشرفت على اعداده في الصباح . . . ثلاث صحاف فقط . . . حساء ساخن وقطعة من اللحم المشوي . مع بعض الخضروات وصنف واحد من الفاكهة . هذا يكفي لا تكن « فجماناً » ! ان لديك استعداداً خطراً للسمن . ثم قدح من القهوة أعدتها أنا بنفسني وأقدمها اليك بانحناءة كأنك ملك ثم أطلق ضحكة ساخرة وأنت تتلقى مني القهوة هادئاً وقد خيل اليك انني جادة اذ أنحني أمامك وبعد ذلك أفقر برشاقة فأجلس خلف المكتب لأقرأ لك ما لم تستطع قراءته في الصباح . . الموضوعات التي تهلك . . الى ان تمل أنت من الاستماع . . . فأدنونك وأجذبك كطفل الى « المقعد الطويل » فأجلسك عليه وأقول لك هامسة في صوت يرتجف حباً « نعم هنا يا طفلي الكبير . انك في حاجة الى الراحة . . . سأوظفك في الوقت المناسب لكي تعمل في التمثال الذي بدأته امس . انني اريد ان ارسم له لوحة « فخمية » يملؤني زهواً ان تكون

تماثيلك وحيي صوري .. ستشتغل في المساء ثلاث ساعات . سأكون الى جانبك . أنت تعمل في التمثال الجديد وأنا أسجل خطوط التمثال الذي تم صنعه على اللوحة التي أرسمها ولكنني سأتركك في الدقائق الاخيرة لكي أرتدي ثيابي وأصحبك الى الخارج فنصعد بالسيارة الى مكان ناء بعيد .. ثم نترك السيارة ونسير متلاصقين مسافة طويلة . ثم الآن .. لانني عثرت اليوم على قصيدة شعر مذهشة سأقرأها لك على ضوء هذا المصباح الازرق بعد عودتنا في المساء الى المنزل .. سأغضب لو انني رأيته تتنأب وأنا أقرأ لك شعري الحبيب »

هو — ماذا دهاني .. أن أنا لمي أضأت المصباح الازرق دون أن أشعر انني أراك الى جانبي هنا .. تتحركين في غرفتي .. في هذه الغرفة اقربي لي الشعر الذي وعدتني به . هأنذا قد أضأت المصباح الازرق هي — انتظر حتى احكم اغلاق النوافذ . انني لا اريد ان نحس بالعالم في الخارج يجب ان تنعدم اصوات الناس والعجلات . انني أرى انك احسن حالاً بكثير الآن .. كما انني سعيدة .. اننا أسعد اثنين في هذا العالم ... أليس كذلك ؟ ان العالم في هذه الغرفة

هو — العالم في هذه الغرفة ! لقد سمعت هذه الكلمات قبل الآن

هي — وأنا سمعتها معك هو — أين ؟

هي — في السينما .. في تلك القصة التي رأيناها معاً عن الثورة الارلندية

هو — عند ما اختلي العاشقان للمرة الأولى هي — أجل . كما اختلينا الآن

هو — ولكن من أنت ؟

هي — تلك التي كانت جالسة الى جانبك تماماً .. في المقصورة الملاصقة لك

هو — واسمك ؟ هي — أخبرتك انني زوجة ..

هو — آه ! — لقد نسيت .. اسمحي لي أن أتركك الآن لأفتح النوافذ ..

ان القطة قد شبعت من أكل الجورب وهي تنمو لانها تلمس منفذاً

للخروج الى العالم فلا تجدد .. ان من حقها ان ترى العالم الذي

انقطعنا عنه نحن الاثنان هذه الساعة لنعيش هنا . وحدنا

ضغط الدم

للدكتور ابراهيم ناجي

كلمة «الضغط» مبهمه عند كثيرين ولكن معناها الحقيقي «الضغط داخل الشرايين الكبيرة» والمسألة مشابهة تماماً للطامبة . ان الضغط يبدأ بالطامبة وهي القلب عند انقباض عضلته . عند ذلك يرتفع الضغط في الشرايين المرنة . ويكون الضغط على أتمه عند ما يبلغ الانقباض اقضاء وهذا يسمى «الضغط الانقباضي» وبعد الانقباض يحدث «الانبساط» وينخفض الضغط بالتدرج . وعند ما يكون على أقله يسمى الضغط الانبساطي . ويمبر عن الضغط بليمترات زئبق وطريقة كتابتها طبيياً تكون برقين مثلاً ١٢٠ على ٧٠ او ١٢٠/٧ وهذه معناها ان الضغط الانقباضي ١٢٠ والانبساطي ٧٠ ملليمتر زئبق

وكما كانت المرونة تامة في الاوعية الدموية قامت بوظيفتها خير قيام . والعلاقة بين الصفة الطبيعية للشرايين وبين محتوياتها من أهم ما يكون . على انه من الطفولة تقل مرونة الشرايين بالتدرج ؟ حتى يبلغ الانسان الكبر فتزيد الشرايين صلابة . والضغط يختلف باختلاف الشرايين . وما يلاحظ ان الضغط هو تحت تأثير الجاذبية . فحتى في حالة الرقاد ، يكون الضغط في الأورطي (اكبر الشرايين) أعلى من الشرايين الصغرى بمقدار ١٠ الى ٢٠ ملليمتر . وبقل الضغط كلما صغرت الشرايين ، فانه في الشعريات من ٨ — ١٢ ملليمترأ بينما هو في الشرايين الصغيرة من ٨٠ — ٩٠

وتحمي الشعريات من الضغط بواسطة الشرايين الصغرى — فلها الشرايين الصغيرة — تحت تأثير الجهاز العصبي وبذلك يمكنها ان تقوم بعملية «توازن» في انطلاق الدم . وهذه الشرايين الصغيرة تشبه «خزانات» دقيقة وانه عند ما تحتاج الأنسجة لغذاء واكسجين ، تنقبها هذه الشرايين بواسطة الفضلات وتنسبط ، ويجدد الدم المجري أكثر اتساعاً . كما انه في الراحة ، وعندما يلزم تنقبض الشرايين في جهة ما ، لتقوم بخدمة في جهة أخرى

ولو لم تقم الشرايين بهذه الوظيفة ، لقام بذلك القلب وحده ، وفي هذا عبء كبير عليه .
وما هو جدير بالملاحظة أنه كلما كبرت « الشجرة » وكلما ظلت المرونة ثابتة ، انخفض الضغط
على شرط أن لا تصاب « الطامبة » بشيء . ويختلف « حجم » الأوعية في الناس فمنهم من عنده
« اتساع » طبيعي ومنهم من عنده « ضيق » في حجم الأوعية
وقياس الضغط مسألة سهلة فيمكن وضع « الحسم » على الذراع والنظر الى « الساعة » . و الضغط
الطامبة المتصلة بالجهاز ضغطاً أعلى مما هو بالدم ، أي حتى لا يعود النبض واضحاً . ثم يخفف الضغط
على الذراع فيلاحظ أول صوت يتمحي ثم أول صوت يظهر ونقرأ على الساعة الأول ويدعى
الضغط الانقباضي والثاني الانبساطي . المتوسط للضغط هو ١٢٠ ملمبترأ انقباضياً ٨٠ انبساطياً ،
على ان هذين الرقمين قابلان للتأثر بأشياء كثيرة كالجنس والوزن والهضم والافعال
والجهود الخ . . .

عند الميلاد يكون الضغط من ٣٠ — ٥٠ م.م. وبعد اسبوعين يرتفع الى ٤٠ — ٨٠ وبعد
ذلك يأخذ الارتفاع في البطء حتى البلوغ — ليس أكثر من ٢٠ — ٣٠ م.م. ثم يحدث ارتفاع
سريع ، ويكون الضغط عرضة لتأثيرات الانفعالية . والنساء أقل ضغطاً من الرجال . والحمل
قد لا يغير الضغط على انه قد يرفعه ، وكلما تقدم العمر ارتفع الضغط بالتدريج وليس صحيحاً
ما يقال ان متوسط الضغط هو العمر + ١٠٠ ، فانه في المتوسط عند الستين يكون ١٣٠ مملاً
والسمنة تعرض الشخص لارتفاع الضغط وبعد الأكل يحدث ارتفاع قليل
وأما الانفعالات فتؤثر تأثيراً بالغاً في الضغط . وبعض الناس يبدون تأثيرهم بأسراع القلب
وبعضهم بتغيرات في الجهاز الهضمي

وقد عرف ان في بعض الشبان ذوي الانفعال السريع قد يزيد الضغط من ٣٠ — ٦٠
ملمبترأ ، وقد يحدث ذلك في الأحلام ، على ان المعروف انه في النوم الهادئ المريح ينخفض
الضغط . وعند القيام بعد القعود ، يزيد الضغط من ٥ — ١٥ م.م. في الانقباضي ولا يتأثر
الانبساطي الا قليلاً

كذلك الجهود الجسماني يرفع الضغط . ويوجد قوم يكون الضغط عندهم منخفضاً انخفاضاً
طبيعياً ، وعند ما يكون الضغط في حالة الرقاد أقل من ١١٠ يسمى هذا « انخفاض الضغط
الأساسي » وقد عرف عن كثيرين ان ضغطهم الطبيعي يتراوح من ٩٠ و ٩٥ ولوراثه شأن في ذلك ،

فانه عرف ان الناس ترث اتساع الشجرة واتساع الأوعية، وبطء القلب، فمن ذلك يقل مجهود القلب، والأوعية، وليس هناك مرض ما، وهؤلاء يعيشون حياة طويلة ولكن يشكون من الضعف والدوخة والحمول، وقد توجد هذه الحالة في المستن في الصباح عند القيام من النوم. وتختلف أحوال انخفاض الضغط الأساسي عند كثيرين، فمنهم من يكون طبيعياً في الرقاد ومنخفضاً في القيام، وبالعكس

والأسباب المعروفة لانخفاض الضغط هي « البطن المرتخية، والأوردة الملتوية، واضطراب الغدد الداخلية وبعض الأمراض العصبية » وهؤلاء معرضون دائماً « للدوخة » عند انتصاب قائمهم

وليس ارتفاع ضغط الدم مرضاً بلا « علامة » وليس معناه ان يكون الضغط مستمراً أبداً، فانه عند الشبان ذوي الانفعال يرتفع ثم يعود فينخفض، وأحوال ضغط الدم المتوسطة التي ليست مصحوبة بمضاعفات لا تختلف في حالة القلب عن الاصحاء. فان كثيرين من المصابين به يعيشون كالمتعاد، وإذا احتاج جزء من الجسم لسكية من الدم وصلت اليه كما تصل في أي شخص سليم. والضغط عند المرضى « بالضغط » متساوٍ مع الاصحاء في الشعريات والأوردة، والفرق يوجد فقط في الشرايين الصغيرة

« فالخزانات » الصغيرة تقف لتسد الطريق، فيرتفع الضغط ثم يعود لسيره الطبيعي، وكما ضاقت هذه الشرايين الصغيرة كلما ارتفع الضغط



ما هي اسباب ضيق هذه الشرايين الصغيرة وانقباضها؟ نحن نعرف كثيراً ونجهل كثيراً فانه لا يوجد سبب واحد، فهناك الوراثة، وهؤلاء الوارثون هم بعكس ذوي « الضغط المنخفض الاساسي »

وفي اكثر الأحيان يكون ضيق هذه الشرايين ناشئاً عن أمراض تسبب اضمحلالها وانسدادهما وقلة مرونتها

وكذلك أمراض السكلى. وليس بالواضح الجلي لماذا تسبب امراض السكلى دائماً ارتفاعاً في الضغط — واختلال الغدد الداخلية — والسمنة المفرطة وكذا التدخين والمجهود العقلي، وكثرة الانفعال تسبب ارتفاع الضغط

ويستمر الضغط احياناً بلا اعراض ثم يأخذ المرضى في الشكوى من الدوخة وقلة النوم، ثم تكون المضاعفات في السكلى او القلب او الجهاز العصبي

أحدث وسائل الاضاءة

في اميركا وطرق الارتفاع بالبصاصة الكهربائية
للوفاة من غوائل الحرب الحالية

لعوض جندي

قالت مجلة الميكانيكا العامة الاميركية في أحدث ما وصل اليها من اجزاها ما تلي ترجمته :-
ارتقت العلوم في الحقبة الاخيرة ارتقاءً سريعاً بحيث تعذر على أغلب الناس ادراك
الانقلاب البعيد المدى الذي لا يسر ذلك الارتقاء . ونعني به تفوق المختبرات العلمية الكبيرة ،
على المخترعين العظام الذين اخترعوا المختبرات الرائعة . ويعلم كل منا مبلغ ما أسداه من هذا القبيل
الى الحضارة ، أمثال اديسون وماركوني . ولكن لا يستطيع امرؤ تعيين المخترع الوحيد
لعشرات من المختبرات الحديثة ، كالحرير الصناعي والصمغ المرن الصناعي ، والعجائن الكيميائية
وقد وصفناها في غير جزء من اجزاء المقتطف السابقة « او المنسوجات الشفافة اللينة والراديو
المصور ، او السيارة والطيارة العصريتين ، لانها من المختبرات الكثيرة النواحي التي أنبتتها
المختبرات العلمية واشترك كثير من النواحي وذوي العقول الراجحة في اختراع اجزاء منها غير
مشهورة الاسماء

ويسوغ القول إن نظام هذا العمل المشترك قد حال دون القيام ببعض التجارب المستقلة ،
بيد أنه اذا اتفق أن بدت في اجوائنا ذات ليلة قاذفات القنابل الضخمة للأعداء ، كان ذلك
باعثاً على تقدير الفوائد التي قد نجنيها من تعاون هاتيك المختبرات العلمية بعضها مع بعض

ومن فوائد تنظيم البحث ، امكان تأليف فرق خاصة من أولئك المهندسين المدربين ، أسوة
بوحديات الجيش بحيث يختص كل فوج منهم بعمل معين : وهذا هو تمام الواقع فعلاً : فقد تطوعت
المختبرات العلمية لأداء الخدمات الحربية ، وذلك بفويض من الحكومة الاميركية . فتم عدول
أولئك من مهندسي المباحث العلمية عن مباحثهم التي كانوا يمارسونها ، متوخين الامان في وقاية
الناس من غوائل الحرب ، اذ تفرغوا لتحسين معدات الفتل والهلاك ومنها المفترقات والاسلحة

وأبراج المدافع الصغيرة والطرايد والاحزمة الكاشفة المضادة للطائرات (وقد وصفناها في مقالنا على كشاف الطائرات الحربية المنشور في مقتطف يونيه الماضي) ثم الانوار الكاشفة وموجهاً القنابل « الدبابات » bomb-sights وضابطات نيران المدافع والأسلحة الواقية وأجهزة المواصلات والمواد الكيمائية الحربية وأجهزة تقييد الإضاءة وأقنعة الغازات السامة وما إليها

ومما لا شك فيه ان معظم النتائج التي ظفر بها اولئك العلماء مازالت سرّاً خفيّاً ، وسبق كذلك اذا اصبحت هذه البلاد « يقصد الكاتب بلاده الولايات المتحدة الاميركية » لا مناص لها من الحرب . وحينئذ سيدهش الاميركيون أنفسهم من بعض ما اخترعه خبراءهم . أما المعدات التي سبق أن قامت باختراعها لاجل وقاية المدنيين احدى الهيئات العلمية الكبرى للباحث وهي هيئات تعدّ بالعشرات ، فليست من الأسرار . ونعني بتلك الهيئة ، مختبر الإضاءة لشركة الكهرباء العامة في مدينة شنيكتادي بولاية نيويورك . والأعمال التي قام بها هؤلاء العلماء ، يقصد بها الى مدى بعيد ، القاء الضوء على وسائل الدفاع عن الولايات المتحدة الاميركية . وذلك لأنهم متخصصون في فن الإضاءة « والشيء من معدنه لا يستغرب » ومنها التخلص من ضرورة تقييد الإضاءة في بيوت أميركا ومصانعها — على عكس الحال الآن في أوروبا — حيث يضطر السكان اما الى اطفاء الأنوار وإما الى تغطية النوافذ والأبواب بالمنسوجات الثقيلة . وقد يسن المستر هـ . ا . بريدنج H. A. Breeding أحد علماء الطبيعة ، الموظف في مختبر شنيكتادي للإضاءة ، تلك الطريقة فقال : —

إن دهن زجاج البيوت والمصانع بالطلاء الازرق مشفوعاً بإضاءتها بالنور الاصفر المتولد من الصوديوم هو الحل الوحيد لهذه المعضلة . ويستعمل هذا العالم لتلك الغاية ، الدهان المعتاد ، ممزوجاً بصبغة زرقاء خاصة . والنوافذ التي تعالج بهذه الطريقة لا تحول دون دخول نور النهار . ولكن الأقمع من ذلك في زمن الحرب ، امكان اضاءة داخل البيوت بأضواء الصوديوم بحيث لا يتسرب منها ليلاً في الخارج أي بصيص من زجاج النوافذ ، المدهونة بالدهان الازرق ، يمكن ان تسترشد به طائرات الاعداء المغيرة الى اهدافها

ويجوز ايضاً استعمال الاشعة التي فوق البنفسجية التي تصدر من المصباح الزئبقي ، وهي المعروفة بالضياء الاسود black light اذا ما أقدمت طائرات الاعداء على مهاجمة أميركا ، لان أشعة الضياء الأسود لا تبصرها العيون المجردة . وانما تستطيع رؤيتها بواسطة الدهانات المتألقة التي يمكن استعمالها في لوحات الاعلانات التي تقام عند مفارق الطرق لارشاد عابريها الراجلين ، وايضاً على امتداد الطوارات لارشاد سائقي السيارات

أما في حالة اطفاء الأنوار في الخارج طول الليل ، فيتسنى تنظيم نوافذ المتاجر بحيث لا نشاهد أضواؤها من الجو ، وذلك باستخدام مصابيح ضعيفة القوة ، مشفوعة بعاكسات للضوء من نوع خاص ، تستطيع توجيه الضوء بعيداً عن الشارع ، الى خلف النافذة حيث ينجو في تحباً مظلم . وللهانات المتألقة والضياء الأسود منافع أيضاً لتلك الغاية

ويجرب الآن مهندسو شركة الكهرباء العامة الأمريكية ، تجربة علمية في جهاز آخر يمكن موارد الطاقة الكهربائية من اطفاء مصابيح الشوارع في خمس ثوان ، دون وقف الخدمات الكهربائية الأخرى في البيوت والمصانع متى كانت مهددة بالغارات الجوية ، على ان تعاد الأنوار الى سابق حالتها الطبيعية في خمس ثوان كذلك ، بعد اعلان اشارة زوال الخطر all clear signal اما الآن فتستحيل السيطرة العاجلة على مصابيح الشوارع ، من غير قطع جميع الخدمات الكهربائية الأخرى ، أو من دون التوصل بالجهاز الثمين المستخدم حالياً في ست مدن من مدائن الولايات المتحدة الأمريكية . وتضاء أغلب مصابيح الشوارع وتطفأ بالمفاتيح الكهربائية الزمنية time-switches (١) أو بأيدي عمال موارد الطاقة الكهربائية . وهؤلاء لا بد لهم من الانتقال الى المراكز العديدة النائية المسيطرة على مصابيح المدينة . وغني عن البيان ان هذه الوسائل أضحت عتيقة غير صالحة لزمان الحرب ، الا اذا صنعت مصابيح الشارع جميعها بطريقة تسمح باضائها بطاقة ضئيلة جداً من الكهرباء بحيث لا تراها عيون المغيرين الجويين ولذلك وجه العلماء أيضاً مجهوداتهم الى هذا البحث . وطبقاً لأرائهم ، وهم ابناء مجدها ، يستطيع تقييد اضاءة مصابيح الشوارع تقييداً فعلياً باستعمال مشاك bulbs ضعيفة الطاقة مظلمة تظليلاً لا يسمح برؤيتها الا للسائرين على الأرض ، بينما تختفي كلية عن عيون المغيرين من الجو

وتصنع الآن الشركة الأمريكية للكهربائية العامة ، مصابيح كهربائية كاشفة ضخمة من قوة ستين عقدة (بوصة) يتسربها اكتشاف الطائرات الحلقة على ارتفاع خمسة اميال ، فيستعان بها على ارغام الطائرات المعادية على التوغل في الجو توغلاً يتعذر عليها فيه تسديد قنابلها الى الأهداف المنشودة تسديداً مضبوطاً . وقد تصلح هذه المصابيح كذلك في اعمال الدفاع الساحلي تجاه البوارج فتكشفها في عرض البحر ، وتمكن المدافع الساحلية من اطلاق نيرانها عليها قبل دنوها من الشاطئ . وبلغ من قوة هاتيك المصابيح الكبيرة ان المرة يستطيع بنورها قراءة الجرائد وهو محلق في طائرة تعلق ١٢ ميلاً عن سطح الأرض

(١) هي مفاتيح كهربائية متحركة بذاتها وتسيطر عليها ساعة بحيث يتاح فتح الدائرة الكهربائية أو اغلاقها أوتوماتيكياً في الوقت المحدد

وكثير من المصانع الحربية في أميركا تواصل الآن أعمالها آناء الليل وأطراف النهار أي أنها تشغل ٢٤ ساعة كاملة ، ابتغاء تعجيل انتاج المعدات الحربية المفروضة عليها . وإذا عمد أولئك العمال والصناع الى تدمير المصانع واتلاف مصنوعاتها التي يقومون بانتاجها ، استقاماً من أرباب المصانع ، مؤثرين حكمة الليل ، على وضخ النهار ، لتنفيذ ما ربههم ، أخفقت مساعيهم وذلك لأن مهندسي الاضاءة اخترعوا وسائل خاصة للوقاية ، وهي مصابيح ساطعة الضوء لصون الحظائر المحيطة بمعظم تلك المصانع ثم أقاموا مصابيح كهربائية كشافة قوية فوق بيوت حراسها لكي تكشف العمال الذين تسول لهم أنفسهم اقتراف ذلك الوزر . وقد نصبت أيضاً في الأفنية المحظورة دخولها (بصاصات ^(١) كهربائية) لكي تنبه على الاشخاص الذين يحاولون ولوجها بلا ترخيص . ولما كان الشيء بالشيء يذكر يجدر بنا التنويه الآن ببعض الأعمال التي تؤديها البصاصة الكهربائية في الظروف الحالية ، للحراسة والرقابة :-

تؤدي البصاصة الكهربائية واجبات شتى تقتضيها حراسة وتنظيم حركة مرور وسائل النقل والانتقال من وإلى النفق الممتد تحت النهر الشرقي East River البالغ طوله ميلاً تحت مدينة نيويورك حيث يتصل حي كوينز (الملكات) بحي مانهاتن Manhattan ويحتوي نفق كوينز ميدتون Queens-Midtown على طريقين مزدوجي المسالك ، لسلك طريق منهما مجموعته الخاصة بالسيطرة عليه ، بحيث يستطيع المرء الاشراف على أحوال حركات المرور في ذينك الطريقين في هنية وذلك بالاطلاع على اللوحة الضخمة للرقابة التي نصبتهام هناك الشركة العامة للكهربائية حيث تقوم الاجهزة العداة ذات البصاصات الكهربائية أول وهلة بحصر عدد المركبات السائرة في كل طريق في أي وقت حصراً مضبوطاً فيجمع الجهاز العداد الأول عدد السيارات الداخلة في النفق ، بينما يطرح الجهاز العداد الثاني عدد السيارات التي تخرج منه وفي كل جهاز عداد شعاعة من الضياء الكهربائي مسلطة من جانب الطوار على بصاصة كهربائية مثبتة في الطوار الآخر المقابل له . فكلما مرت مركبة على تلك الشعاعة فقطعتها ، نبضت البصاصة الكهربائية نبضة ، فتصل الى الجهاز العداد ، وإذا زاد عدد السيارات في أي طريق من الطرق الممتدة في النفق ، على العدد المأمون من الخطر ، أعطيت اشارة تحذير في اللوحة المركزية للرقابة ، فيقلل حينئذ عدد السيارات التي يسمح لها بدخول النفق . وثمة شعاعة أخرى من النور تلتقي على مداخل النفق ، فتعهمها من أسفلها الى ارتفاع ١٢ قدماً ونصف قدم . فاذا ما قطعها أية مركبة نقل يزيد ارتفاعها على ذلك المقياس ، أثرت في البصاصة الكهربائية فتطلق

(١) وقد وصفناها في عدة اجزاء من المقتطف « المترجم »

بوقاً لتنبيه ضباط المرور لكي يقفوا تلك العربات ، إذ هي لا تستطيع المرور من النفق لانخفاض سقفه عن ذلك القدر ، وتقوم البصاطات الكهربائية أيضاً بإضاءة المصاييح الكهربائية في مداخل النفق وذلك عندما يخيم الظلام ، وتساعد على تسجيل كمية غاز أو أكسيد الكربون الذي يتفشى في الطرق الممتدة في الانفاق فتنبه الضباط الى فتح المراوح الكهربائية لتجديد هوائها . وكذلك اخترعت أجهزة أخرى مساعدة للاضاءة يمكن استخدامها حينما تعطل الموارد الأصلية ، وقوام تلك الاجهزة مولدات تدار بالبززين او بطاريات تخزين مثبتة في عربات النقل فتقدم من معدات الطوارئ الميسور نقلها من مكان الى آخر ، عند ما تدمر القنابل المصانع الأصلية للاضاءة . ويفكر الآن المهندسون في اختراع محطات عوامة للاضاءة أيضاً (١) ولم يفتخر المختبر العالمي للشركة الأمريكية العامة للاضاءة الكهربائية عن القيام بواجبه في الظروف الحالية الحرجة . وكذلك أرجأ معمل المباحث أعماله المعتادة ليتفرغ لحل معضلات الدفاع عن الجمهورية الأمريكية العظمى — وفي هذا الصدد يقول المستر لورنس ا. هوكنز المهندس الاداري ما يأتي : —

إن المباحث الدائرة حالياً قد توخيناها مبدئياً البناء للمستقبل ، إذ هي ابحاث نظامية لاكتشاف معلومات جديدة تصلح اساساً لصناعات جديدة أو قواماً لتحسين كالي للصناعات القديمة ، يفضي الى انماء الثروة الاهلية وترقية مستوى المعيشة . ولكن متى حلت الاوقات العصيبة فلا بد حينئذ من التخلي وقتياً عن مباحثنا الحالية لتخصيص مجهوداتنا لما هو أجدر منها بالاهتمام وبسرنا ان دولتنا قد هبت مرة أخرى من سباتها الذميم الى التأهب العيم للحرب فحشدت مصادرها العظمى وستستأنف معامل البحث الاميركية اعمالها الجلية التي لا بد لها من ادائها في هذا المعترك اذ الحرب الحالية حرب آلات ميكانيكية لدرجة لم يسبق لها مثيل . فاذا ما اعطيت هذه الأمة وقتاً كافياً ، تمكنت معامل ابحاثها واستطاع مهندسوها وأتبع لمباقرتها انتاج المصنوعات بالجملة ، تلك المصنوعات التي جعلت هذه الدولة اقوى دول العالم صناعة ، وفي مقدورها ايضاً جعلنا اقواها أسلحة . فينبغي لنا اذن ألا نضيع يوماً واحداً سدىً وألاً نقامر بسلامة هذه الامة . ونحن في مختبراتنا العلمية نصبو كل الصبوة الى اعانة دولتنا بكل ما في وسعنا فاذا شبت الحرب يوماً ما نستجدنا على تمام الاستعداد لها من كل صوب

(١) وقالت الصحف المصادرة في الشهر الماضي في هذا الصدد ما يأتي : — ان الحكومة الاميركية تفكر في استخدام الباخرة الفرنسية الكبيرة نورماندي محطة لتوليد الكهرباء لزيادة القوى الكهربائية في نيويورك وستستخدم بواخر أخرى لتوليد القوى الكهربائية ، في بعض المدن التي واجهت بها صناعات الدفاع طلبات متزايدة

اللغات السودانية

الشرقية

للدكتور مراد كامل

مدرس اللغات السامية بمعهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد الاول

ظهر في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠ كتاب تحت « عنوان اللغات السودانية الشرقية » من تأليف
ا. ن. تسكر (يقع في ٤٤٩ صفحة من الحجم المتوسط وفيه سبع خرائط)

The Eastern Sudanic Languages, by A. N. Tucker, Vol. I, published for the International Institute of african Languages & Cultures, by the Oxford University Press, London — New York — Toronto, 1940

وأنتهز فرصة خروج هذا الكتاب لأظهر ناحية من نواحي النشاط العالمي في الدراسات
الافريقية

تنقسم اللغات الافريقية الى ثلاث مجموعات كبرى : الحامية، السودانية، البنسو . فمجموعة
اللغات الحامية تنتشر من المحيط الاطلنطي غرباً الى البحر الاحمر والمحيط الهندي شرقاً ومن
البحر الابيض المتوسط شمالاً الى السنغال والنيجريا وجنوب لوبيا وبحر العرب وجنوب
الصومال الايطالي جنوباً، على ان تستخرج من هذه كلها مناطق نفوذ اللغات السامية. اما مجموعة اللغات
السودانية فتتمتد من الصحراء الكبرى الى خط الاستواء ومن أعالي النيل الى المحيط الاطلنطي،
مع استخراج لغة الغلّ ولغة الهوسا، لأن علماء اللغات الافريقية لم يتفقوا على وضعها
في احدى هذه المجموعات الثلاث. اما مجموعة لغات البنسو فحدودها الشمالية نيجريا، خط
تقسيم المياه، فالصومال الايطالي، ما عدا منطقة نفوذ لغتي البشمان والهوتوتوت اللتين تكونان
وحدتين مستقلتين

وقد اصطلح العلماء على تسمية اللغات الحامية بهذا الاسم نسبة الى حام وهو أخو سام وياث
أولاد نوح، كما ورد في سفر التكوين اصحاح ١٠ آية ١ . ويقسمونها الى ثلاث مجموعات:
(١) المصرية القديمة — القبطية (٢) اللوية — البربرية (٣) الكوشية. وقد اهتم علماء من
فرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا بدراسة هذه اللغات حتى ظهر كتاب الاستاذ ماينهوف عن

« لغات الحاميين » سنة ١٩١٢، C. Meinhof, Die Sprachen der Hamiten, 1912 Hamburg. وهذا الكتاب يعتبر أهم مرجع في دراسة هذه اللغات. واقتصر العلماء بعده على تعديله أو إكمالته

أما البنتو فقد اصطلح العلماء على تسميتها كذلك من لفظة ba-ntu بمعنى رجال (مفرداتها ntu). وهناك محاولات مختلفة لتقسيمها: فمن العلماء من قسمها الى مجموعات لغوية يلائم كل منها حول لغة معينة، كما صنع دركسل Drexel في مقال له عن تقسيم اللغات الافريقية في مجلة Anthropos XVII—XIX, 1923—24 صفحة ٢٦ وما يليها، وكذلك شميدت W. Schmidt في كتابه عن لغات العالم، Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde, Heidelberg 1926 ويكرز E. Kieckers, Die Sprachstämme der Erde, Heidelberg 1931 مجموعات لغات العالم

ومنهم من يقسمها جغرافياً الى مجموعة شرقية ومجموعة جنوبية ومجموعة غربية على نحو ما فعل سليجمان C. G. Seligman في كتابه Races of africa, London 1930 أجناس افريقيا، وكذلك هارتلاند S. Hartland في مقاله عن البنتو في موسوعة هاستنجنس Hastings Encyc. of Religion and Ethics. وقد أثرت « مدرسة لندن لعلم الأصوات » تحت اشراف الدكتور Dr. Daniel Johnes والاستاذ Prof. A. Lloyd في دراسة علم الأصوات في لغات البنتو. وظهرت في ذلك مباحث للدكاترة K. Laman و A. N. Tucker و Nekes وآخرين. وقد لخص الدكتور E. W. Smith ما ينبغي اتباعه في تفحص تلك اللغات بقوله « تحتاج لغات البنتو أن ترتب على قاعدة دراسة الاصوات وأقسام الأسماء والمفردات وبناء الجملة، واعتدي أن التقسيم المفيد الى اليوم هو التقسيم الجغرافي »

ومما يستحق الذكر مقال جريء لـ L. Homburger في Mémoires de la Société de Linguistique XXIII, 1929 صفحة ١٤٩ وما يليها، قد حاولت فيه أن تثبت قرابة بين لغات البنتو والهوسا من جهة وبين اللغة المصرية القديمة من جهة أخرى. وإذا أتانا في معرض الكلام على لغات البنتو أذكر ما قاله لي أستاذي السابق Westermann رئيس معهد اللغات الافريقية ببرلين من وجود لغة عربية في شمال الكرون بين منطقة نفوذ لغات البنتو، ويرجح أن المتكلمين بها وصلوا من الشرق والمظنون من صعيد مصر

أما اللغات السودانية فهي نسبة الى السودان . وقد اصطلح على استعمال هذه اللفظة بمعنى يختلف باختلاف العلوم. فاذا تكلم الجغرافي على السودان فهو يقصد السودان الفرنسي أي المنطقة المحصورة بين الصحراء الكبرى وحوض الكونغو تقريباً . وإذا قالها المؤرخ فهو يعني السودان المصري الانكليزي . وإذا ذكرها اللغوي فهو يدل على تلك المجموعة من اللغات التي أسلفنا الكلام على منطقة انتشارها. أما اللغات السودانية فلم يحقق ما بينهما من التشابه الا منذ عهد قريب . وقد حاول العلماء حصر هذه اللغات فعد العالم الفرنسي دلافوس M. Delafosse ٤٥٥ لغة سودانية ثم زادها الى ٥٦٠^(١) ، وقد قسم هذه اللغات على أساس جغرافي الى ١٦ مجموعة . ولم يوافق الاستاذ Westermann في كل ما ذهب اليه وكتب في ذلك مقالا عن « صفات اللغات السودانية وتقسيمها » Charakter und Einteilung der Sudansprachen في مجلة Africa, Vol. VIII No. 2, 1935 صفحة ٤٨ — ١٢٩ . ومن تبع Westermann في رأيه Dr. A. N. Tucker في دراسة مجموعات اللغات في جنوب السودان Survey of the Language groups in the Southern Sudan Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol VII. Part 4, 1935 في مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن . وقد قسموا اللغات السودانية الى أقسام : —

(١) — اللغات السودانية القديمة وتشمل في الغرب المجموعة المعروفة تحت اسم كوا Kwa (ايو ، يوروبا ، نوبة) ومجموعة إافة — أكان Ewe—Akan (إافة ، توي ، فنته) وفي الشرق تشمل مجموعة مورو — مادي ، بونجو — باكا — باجيرمي ، ندوجو — بثيري

(٢) لغات المنده (مندنجو ، بمبارا الخ)

(٣) لغات متصلة تمتد من كردفان الى مصب نهر السنغال ، منها تيف وكذلك لغات شمال توجو (أي لغات جور) ولغات ساحل الذهب (مُوسسى — داجبانه وغيرها) واللغات الاطلنطية الغربية بين ساحل العاج ومصب نهر السنغال

(٤) اللغات السودانية الداخلية وتقع بين نيجيريا والسودان المصري الانكليزي . هذا هو تقسيم ويسترمان وتكر . أمّا شميدت Schmidt في كتابه عن لغات العالم فقسّمها الى ست مجموعات وتبعه في ذلك دركسل Drexel وكيكرز Kieckers . ونذكر المرجع الذي بعد أساساً لدراسة اللغات السودانية وهو كتاب ظهر سنة ١٩١١ للاستاذ Westermann عن اللغات السودانية Die Sudansprache, Hamburg 1911

(١) راجع الفصل الذي عقده عن لغات السودان وغينيا في كتاب ميه وكوهين عن لغات العالم صفحة ١٦٣ Les Langues du Soudan et de la Guinée ; dans les Langues du Monde P. 463, Paris 1924

ولم يعتمد العلماء الى دراسة اللغات السودانية كما عمدوا الى لغات افريقيا ، وذلك لصعوبة الوصول اليها ولعدم اهتمام العالم السياسي بها . وظلّ العلماء على اختلاف جنسياتهم يقومون بدراسات قصيرة متفرقة كلما سنحت لهم الفرصة إما برحلات الى الجهات التي تنتشر فيها اللغة وإما بوجود أحد الافريقيين في أوروبا . واذ كانت سنة ١٩٢٨ عقدت حكومة السودان في شهر ابريل مؤتمراً في مدينة الرجب (في جنوب السودان على الشاطئ الغربي لبحر الحيل) ودعت الى هذا المؤتمر نمثلي جميع الجماعات التبشيرية في جنوب السودان وكذلك علماء من أوروبا ، وكانت الأغراض التي يرمي المؤتمر الى تحقيقها

(١) حصر اللغات وتقسيمها في جنوب السودان

(٢) أي مجموعة من اللغات في جنوب السودان يقترحها المؤتمر لاستعمالها في الأغراض التعليمية ، وأي اللغات يقع عليها الاختيار في الجهات المختلفة ، والقضاء على اللغات المحلية في الجهات التي تستعمل فيها اللغة التي وقع الاختيار عليها ، والنظر في وضع أساس لتعليم اللغة الانجليزية في المدارس

(٣) بحث امكان وضع طريقة واحدة لكتابة اللغات المختلفة

(٤) رسم خطة للتعاون في وضع قواعد اللغات المختلفة ، وكتب للنصوص والمطالعة يكون الغرض منها تعليم السكان ثم سد حاجة موظفي الحكومة ورجال التبشير وقد تبنى علماء الانجليز على أثر هذا المؤتمر فوجهوا عنايتهم الى دراسة افريقيا وأخرج لنا النورد هيلي بمساعدة الكثير من العلماء هذا المؤلف الضخم الذي يقع في ١٨٣٧ صفحة من الحجم المتوسط يتضمن دراسة عن المسائل التي تتعلق بأفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى) من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية واللغوية والتعليمية وغيرها. وقد استقرت كتابته زهاء تسع سنوات

An African Survey, A Study of Problems arising in Africa south of the Sahara by Lord Hailey, Oxford University Press, 1939.

وكذلك أخذ في تنفيذ رغبات المؤتمر وقراراته ، فزاد التأليف زيادة مطردة وكثر الاهتمام بدراسة اللغات السودانية وأرسلت الجمعيات المختلفة مبعوثيها الى الجهات المختلفة للدراسة وقد أشار الى ذلك Edwin W. Smith في التقرير الذي وضعه عن عمل معهد اللغات الافريقية وحضاراتها (The Story of the Institute (the International Institute of African Languages and Cultures) Africa, Vol. ١٩٣٤ في مجلة

A Survey of Seven Years. VII. No. 1, Jan. 1934 من صفحة ١ — ٢٧

وقد نوه في تقريره بالعالم Dr. A. N. Tucker مؤلف الكتاب الذي بعثنا على كتابة هذا الفصل وذكر اتجاهه في دراسة اللغات السودانية وأشار أيضاً الى زميلي الدكتور H. J. Melzian والدكتور J. Lukas وكذلك الى الدكتور I. C. Ward وهم يقومون بدراسات مختلفة في نيجيريا

وقد أتيت الفرصة للدكتور A. N. Tucker في دراسة لغات السودان لما كلفته حكومة السودان من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣١ بدراسة لغات جنوب السودان ووضع حروف هجاء تكتب بها اللغات المختلفة. وجاء هذا على أثر القرارات التي اصدرها مؤتمر الرّجف فكتب تكرر خلاصة بحثه في مقال تحت عنوان « الحالة اللغوية في السودان الجنوبي » ، والمقصود بالسودان الجنوبي مديريات أعالي النيل وبحر الغزال ومنجلا أي بالتقريب الجزء الواقع جنوب ملاكال من السودان المصري الانكليزي The Linguistic Situation in the Southern Sudan ونشرها سنة ١٩٣٤ في مجلة Africa Vol. VII No. 1, Jan. 1934 صفحة ٢٨

— ٣٩. وقد قسم تلك اللغات الى عشرة اقسام رئيسية :

الشلوك ، الدنكا ، النوير ، النيدوجو ، الزنده ، المورو — مادي ، البونجو — باكا ، الباري ، اللتوكو ، والتوبوتا ، الديدنجا — بير
ثم أتيت مرة اخرى للدكتور Tucker السفر الى السودان لما أوفده معهد اللغات الافريقية بلندن في بعثة سنة ١٩٣٢ لاتمام دراسته في اللغات السودانية . وظهرت نتيجة هذه الدراسة الطويلة في مؤلفه الذي نشره معهد اللغات الافريقية في نوفمبر سنة ١٩٤٠ تحت عنوان اللغات السودانية الشرقية كما ذكرنا ذلك في مسهل كلامنا

وقد قسم المؤلف اللغات السودانية الشرقية الى اربعة اقسام

- (١) مجموعة لغات مورو — مادي
- (٢) مجموعة لغات بونجو — باكا — باجيرمي
- (٣) » » ندوجو — سيره
- (٤) لغة الزنده وبعض لغات سودانية اخرى

اما منطقة انتشار هذه اللغات جميعها فهي الهضاب الغربية والجنوبية من المديرية الاستوائية في السودان ثم شمال اوغنده والزاوية الشمالية الشرقية من الكونغو البلجيكي وفي مديرية اوبنجي — خاري ومنطقة بحيرة شاد في افريقية الاستوائية الفرنسية

أما المجموعة الأولى أي المورو — مادي فتتمد من منطقة أمادي من أعمال مديرية منجلا (مورو) في شكل نعل الفرس مخزقة مريدي ويأي (ابوكايا، كيليكو) ثم تنعطف الى الزاوية الشمالية الشرقية من الكونغو (لوجو، ليندو) فشمال غربي اوغنده (لوجيارا، ماد) ثم تنحرف الى منطقة أوباري في مديرية منجلا (مادي) — وبما أنها تبدأ من المورو وتنتهي الى المادي أطلق عليها مجموعة لغات مورو — مادي

والكتاب الذي نحن بصدد دراسة لهذه المجموعة من اللغات . وفي مأمول المؤلف أن يتبع هذا الجزء بثلاثة أجزاء أخرى حتى يتم بذلك دراسة اللغات السودانية الشرقية واني عارض هذا الكتاب ملخصاً لأهم النتائج التي وصل اليها المؤلف

يبدأ الكتاب بمقدمة عن اللغات السودانية الشرقية ومنطقة انتشارها وتقع هذه المقدمة في ٣ صفحات ويتلوها ٤ صفحات قدم فيها المؤلف شكره إذ ذكر كل من ساعده من الوجهتين المادية والعلمية . ثم يسن الطريقة العلمية التي أجرى عليها الكتاب ، فقال انه كتبه ثم عرضه للتدريس على الاساذ فرث من جامعة لندن J. R. Firth of University College, London فاضطره فرث الى ان يعيد كتابة الجزء الذي يتعلق بالنحو على جهة تخالف التي سار عليها ،

وهي تطبيق للنظريات اللغوية المعروفة باسمه . ويبي ذلك ثبت للمراجع يقع في صفحتين ثم كتب مَدْخلاً من صفحة ١ الى صفحة ٨٤ قسمه قسمين : قسم عن القبائل ، تسكلم في الفصل الاول منه عن توزيع القبائل السودانية الشرقية . وفي الفصل الثاني عن تاريخ هذه القبائل وغزوها لحوض نهر ويلي . وتكلم في الفصل الثالث عن اثر هذا الغزو من الوجهة التاريخية وخلص من هذا الى النتائج الآتية :

أظهرت الدلائل المتفق عليها من مقارنة اللغات والأساطير ان جموع البونجو — باكا او بعد ذلك جموع المورو — مادي هم اول من غزا الجزء الجنوبي من السودان عن طريق حوض نهر ويلي ومن المرجح ان المجموعتين ترجعان الى أصل واحد، ويظهر أنهما نشأا في منطقة بين بحيرة شاد ومنايع نهر خاري . ويغلب على الظن أنهما انقسما الى مجموعتين في عصر متقدم وربما كان ذلك سابقاً لوصولهم الى منطقة نهر ويلي قبل أن يصير البونجو والباكا والكريش والميتو وحدات منفصلة هذا واتصلت قبائل البونجو بقبائل المومثو في حوض نهر ويلي وخضعت قبائل المورو مادي لقبائل الشلوك في القرن السادس عشر الميلادي . ومن المحتمل أن تجمع قبائل الكريش والميتو في ذاك الوقت كان قد استقر لأننا لا نكاد نلاحظ أثر المومثو والشلوك في هذه اللهجات زحمت قبائل الندوجو — سيره في وقت متأخر الى حوض الوبلي مع قبائل الموندو والبانجيا والمايوجو وغيرهم وكانت هذه القبائل منفردة منفصلة على الرغم من وجود امتزاج شديد

بينها . واستقرت قبائل الباسيري شمالي نهر مبومو ، أما قبائل الموندو فقد اتجهت جنوباً واندحجت بقبائل الباكا وكانت النتيجة أن أثر كل من لغتي الموندو والباكا في الأخرى وكانت قبائل البوننجو في ذلك الحين قد وصلت الى مركزها الحالي في حين تجمعت قبائل المورو — مادي جنوب نهر الويلي بنوع خاص

تتابعت موجات الغزو في القرون الثلاثة الاخيرة على السودان الجنوبي فدخلت القبائل المختلفة بالتدرج الى حوض نهر ويلي آتية من الشمال والغرب والجنوب . وقد بلغت أشدها من قبائل افوننجارا الرحل التي تدفقت على السودان الجنوبي خاصة ، واكتسحت كل من لاقاها من قبائل سودانية شرقية حتى صدّهم العرب وقامت بلاد الدنكا عقبة أمامهم . وهذه هي نفس العوامل التي وقفت تيار القبائل السودانية الشرقية الهاربة . وقد واجهت طلائعهم ثلاثة عوامل للقضاء عليها ، إذ كان لها أن تختار بين ثلاثة أمور . أن تقف في قبائل الأزنده ، أو أن تتلاشى في قبائل الدنكا ، أو أن يسترقها العرب : وقد درست حالة هذه القبائل حديثاً فأرجعت اليها الحكومات القائمة وحديثها القبلي بعض الشيء

أما فيما يتعلق بأثر العرب فهناك مسألة هامة يظهر أن كالون بوفي Calonne-Beaufaict قد أهملها في كتابه عن الأزنده

Azande : Introduction à une ethnographie générale des Bassins de l'Ubangi—Uele et de l'Aruwimi, Brussels, 1921

وهذه المسألة أن غارات العرب من دارفور حدثت قبل غاراتهم من جنوب السودان بحوالي مائة أو مائتي سنة وليست لتلك الغارات صلة بضغط العرب على السودان من الصحراء الكبرى . وكانت غارات العرب من دارفور في القرن السابع عشر الميلادي بمنزلة سهم جعل قبائل السارا ترحل جهة الغرب ودفع بموجات قبائل الأزنده جنوباً وعمل على تدفق القبائل المختلفة الى الجزء الغربي من جنوب السودان . فآثر هذا الخلط الشديد في السكان الحاليين لتلك المنطقة . ولم يترك تغلغل العرب الفعلي في هذه المنطقة أثراً كبيراً في مجموعته ، بل هو لا يعد شيئاً بجانب تغلغلهم في منطقة الاو بنجي — خاري

هذه هي أهم النتائج التي وصل اليها المؤلف في الباب الأول من كتابه . أما الباب الثاني (من صفحة ٥٦ الى صفحة ٨٤) فأفرده للدراسة اللغوية ، فتكلم فيه على خصائص مجموعة اللغات السودانية فالحامية فالبنوتو ثم عقد فصلاً على خصائص اللغات السودانية الشرقية وآخر عن بعض

مبادئ وتعريفات عامة يجب مراعاتها عند دراسة قواعد اللغات السودانية الشرقية ، وأشار الى أن واضعي نحو اللغات الافريقية من علماء اوربا وجدوا أن وضع النحو على الطريقة المتبعة في دراسة اليونانية واللاتينية لا يصلح لدراسة اللغات الافريقية . كما أنه أشار الى أنه لا يجب أن نشط فنطرح جانباً كل المصطلحات المتواترة لنستعمل مصطلحات جديدة ، بل الواجب أن نأخذ الصالح منها وأن لا نستعمل مصطلحات جديدة إلا إذا عجزت المصطلحات المتواترة في الدلالة على المعنى المراد

ويتبع ذلك كله الجزء الأول من دراسة اللغات السودانية الشرقية وهو الجزء الخاص بمجموعة لغات مورو—مادي ويقع من صفحة ٨٥ الى آخر الكتاب

حصر المؤلف في هذا الجزء قواعد تلك المجموعة من اللغات ثم أضاف بعض النصوص وألحقه بمفردات مع مقارنة لجميع اللغات السودانية الشرقية . وقد درس جميع لهجات المورو (ويبلغ المتكلمون بها حول ٢٠٠٠ نسمة) ولهجاتها : ميزا وكيدرو ولا كامادي ومورو إندري وأبالبي ومورو بنجي وادي

واللغات المتوسطة (وعدد المتكلمين بها نحو ٨٣٠٠٠) وهي افوكايا ولهجات أدزبلا وأدزبجا . وكيليكو ولوجبارا ولوجو . ولهجة اجامي . أما لهجات المادي (ويتكلمها ٢٤٠٠٠ نسمة تقريباً فهي : لوكاي وپانديكيري وأبورولو ولولو أبا . ولاختلاف لغة اللندو عن هذه المجموعة من حيث النطق والقواعد اللغوية أفرد لها المؤلف فصلاً في آخر الكتاب . وقد اثبت نهائياً قرابتهما من ناحية الاشتقاق للغات السودانية فوضعها لذلك ضمن هذه المجموعة بعد أن كانت تدرج غالباً في لغات البنتو

ولا يسعنا هنا إلا أن نسجل للمؤلف هذا المجهود الجليل الذي بذله في دراسة تلك اللغات من الوجهتين النظرية والعملية ونخص بالذكر اختياره لأصلح الطرق في عرض قواعد اللغة مبسطة قريبة المثال فقد طرح جانباً منهج جيسپرسن التي ذكرها في كتابه « فلسفة قواعد اللغة » Jesperson A Philosophy of Grammer, London 1924, P. 91 والتي حصر فيها أجزاء الكلام الى : (١) الأسماء (ومنها أسماء الأعلام) (٢) الصفات (٣) الضمائر (ويدخل تحتهما الأعداد) (٤) الأفعال (٥) الأدوات (وفيها الظروف والحروف على اختلافها) وقد أخذ المؤلف بطريقة دوكة Doke بقدر ما تسمح به دراسة هذه اللغات بعد أن لاحظ ما استفاده دوكة من دراسته للغات البنتو وأخرج كتابه عن المصطلحات اللسانية في لغات البنتو سنة ١٩٣٥

C.M. Doke Bantu Linguistic Terminology London 1935, P.28. قسم دوك

في كتابه هذا أجزاء الكلام الى :

اولاً : الاسم — (١) اسم (٢) ضمير :

(١) مطلق (ب) اشاري (ج) عددي (د) وصفي

ثانياً : الوصف — (١) الصفة (٢) الموصول (٣) العدد (٤) الملكية

ثالثاً : الاسناد — (١) الفعل (٢) المبتدا والخبر

رابعاً : الايضاح — (١) الظرف (٢) المحاكاة الصوتية

خامساً : العطف

سادساً : التعجب (ويدخل في هذا الباب النداء والامر)

ولكن لنا على المؤلف بعض الاعتراضات فقد تغاضى في القسم الاول من الكتاب عن ذكر المواقع الجغرافية لتلك اللغات وتأثيرها في انتشار لغة ما او سهولة تأثير لغة في اخرى . والملاحظ ان هذه العوامل الجغرافية لها اثر كبير في اللغات الافريقية على الخصوص

ثم لم يستفد المؤلف من وجوده في تلك الجهات لاستغلال المتواتر من الأخبار لدراسة الناحية التاريخية وثققات القبائل بل اختصر الكلام في هذا الباب ولا يخفى ما للناحية التاريخية من أثر في تطور اللغة

وكذلك عرض خصائص اللغات عرضاً موجزاً كاد يضيع الفائدة التي أراد أن يجنيها من وراء هذا العرض

وهناك بعض أخطاء مطبعية كان يحسن أن يتنبه اليها المؤلف خصوصاً فيما يتعلق بالصيغ اللغوية كما هو الحال في صفحة ١٣٤ سطر ٤٢ . أما الباب الخاص بالمفردات فقد أراد المؤلف أن يرجع الكلمات الى أصولها ولكنه تهاون في هذا فلم يذكر من الكلمات الدخيلة من اللغة العربية إلا كلمة daragà درع ، وفاته مثلاً كلمة kusu قوس وكلمة asi قيط (والمعنى : النار) وقد اشرنا اليها في مقالنا عن أثر العربية في اللغة النوبية مجلة المستشرقين الألمان جزء ٩١ كراسة ٣ سنة ١٩٣٧ صفحة ٦٢٥ (ZDMG, B. 91, H. 3, p. 625, Leipzig 1937.)

Arabischer Einfluss auf die Nubische Sprache

فهذه المآخذ لا تمس قيمة الكتاب . ونحن نأمل ان يهيا للمؤلف اخراج الاجزاء الباقية الموعود بها حتى ينير ناحية لانزال مظلمة في الدراسات الافريقية وهي تهمة بنوع خاص لملاتها بالسودان

بقاع الجمال

وأثرها في الشعر والادب

لمحمد عبد الغني حسن



في كل اقليم من اقاليم الدنيا بقاع جميلة ، ومواطن تفتن النظر وتختلب اللب وتقف أمامها العيون معجبة تستوعب جمالها ، وتحاول ان تصل الى سر الحسن والملاحة فيها . ومن جمال البقاع ومحاسن الاصقاع ما يكون وليد الفطرة ، وصنع الطبيعة كالأنهار الجارية والوديان المترجة ، والخيال الزعن ، والقمم الشم ، والغدُر الرائقة والرمال المنبسطة او المتموجة كنبأنا خلف كئشان ، وآكاماً إثر آكام

ومن جمال البقاع ما يكون مجلوباً لا جبلة ، وصناعة لا فطرة ، كالبحيرات الصناعية والغدر المنشأة ، والجدايق المنضدة تنساب فيها الجداول . وتقام فيها النضائد . وتشذب فيها الحمائل ، وتتضد فيها الأرائك ، وتقرش أرضها بالحصى المتلون ، والرمال المتناثر ، وتكسى أحواؤها بالعشب الناضر ، والكلاً الأخضر

وهذه البقاع الجميلة خليفة ان تسمى مواطن الجمال ، ولها في الادب أثر كبير ، ولها عليه سلطان واسع . وهي ألزم للأديب لزومها للمصور البارع او الرسام المبدع . واذا كان في تاريخ الفنون الجميلة جملة صالحة من اللوحات الخالدة سجلت عليها بريشة المصور لطائف من الجمال فان في الادب جملة صالحة من قصائد رائعة ومن قطع خالدة سجلت جمال هذه البقاع في شعر جميل او نثر فني بديع

ولا يستقل بذلك الادب العربي وحده ولا ينفرد به ، ففي الآداب الأجنبية كثير من التراث الأدبي اهتم بمواطن الجمال فصورها وأحسن تصويرها على ان هذه البقاع الجميلة قد تكون من ناحية أخرى مضافة لعقل الشاعر او الكاتب كما نكون وحياً له والهاماً لأدبه

فمنطقة نهر (الايقون) بانكلترا من بقاع الجمال . ويكفيها فخراً أنها ألتعجت للبشرية أعظم شاعر عرفته الى اليوم وهو « شاكسبير » واقد أعجبنا حينما زرنا هذه المنطقة بالجمال الطبيعي السائد

فيها والخيم على ربوعها . ولم تنكر على تراها المضمخ بالأريج العاطر أن ينبغي مثل « شاكسبير » ولا شك أن الذين قرأوا الشاعر الانكليزي « Wordsworth » وردسورث لمسوا فيه تقديره للطبيعة وتغنيه بحاسنها حتى أنه يسكاد يذوب فيها . ولقد عقد الأستاذ « كامبيناك » المربي الانكليزي المعاصر فصلاً في كتابه عن التربية اختص به شاعر الطبيعة « وردسورث » وبين ضرورة تبصير الطفل بمواطن الجمال ليكون ذلك عنصراً من عناصر تربته

وهذا الشاعر مدين بحبه للطبيعة الى بقعة من بقاع الجمال هي منطقة « البحيرات » في انكلترا . فقد عاش فيها وسمع خرير مائها ، وحفيف أشجارها وتسلق بعض جبالها — كجبل كونستون — وسجل كثيراً من هذه المناظر الفاتنة الساحرة في شعر تصويري جميل . وكانت قرية « جراسمير » الهادئة الجميلة في منطقة البحيرات أحب مواطنها الى نفسه فمأش فيها ومات تحت تراها — وأتيح لنا أن نزور هناك قبره وبجانبه قبر أخته التي كانت تهتم أيضاً بهذا الجمال وكان الشاعر الأميركي المشهور « هنري دافيد ثورو » يعشق الطبيعة ويألف اليها . وبني له كوخاً قرب غدير (والدين) ألف عنده الطيور والحشرات والأشجار . وفهم تغريد الطير وصرير الجنادب . وعاش في عزلة عن الناس أخرج في خلالها كتابه الخالد (والدين) الذي يعد بدعاً في الأدب الانكليزي

ولقد كانت بحيرة « ليمان » بسويسرا الهاماً للشاعر الفرنسي العظيم « لامارتين » وقصيدته « البحيرة » مشهورة مذكورة مترجمة الى الأدب العربي وفي ولاية « هامشير الجديدة » بأميركا الشمالية . وعلى ضفاف نهر « ميرماك » الجميل غنى « جيمس رسل لويل » الأميركي كثيراً من أناشيده الخالدة . وكان مثل صاحبه « ثورو » يفهم الطبيعة كل الفهم . ويحسن الأصغاء اليها اذا صوت بالنسم الرقيق أو الزعزع النكباء . وكتابه العظيم « من شباك غرفة مطالعتي » أثر من آثار الجمال الطبيعي في نفسه

ولشعراء العرب نصيب عظيم من تصوير جمال البقاع ، وتسجيل المناظر البهيجة الساحرة التي تركت في نفوسهم أثراً . وهذه البقاع الجميلة كثيرة في أنحاء المملكة العربية الاسلامية وهي متباينة المناظر ، متنوعة المشاهد ... ففي شبه الجزيرة الرمل والصخر والأباطح الفصح التي تسبل بأعناق المطايا ... وفي العراق الأنهار والمحلات والجسور ، والبرك والقصور . وفي الشام الغوطات الكثاف كغوطة دمشق . وفي الاندلس الرياض والأزهار ، والبراعم والنوار والوديان والأنهار . وفي مصر النيل والمرابك فيه صاعدات منحدرات ولا شك أن البحري قد وفق التوفيق كله وأجاد الاجادة كلها في وصف (بركة المتوكل)

فقصيده فيها تجمع الى حسن التصوير حلاوة الوزن وحسن النغم ولا شك أن القارئ يهتز
لوصف البركة والنجوم منعكسة على سطحها بقوله

إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها
والقصيدة معروفة مشهورة متعالمه فلا داعي الى تدوين أبياتها. والبحري مجيد للاوصاف
مبدع فيها وليس كثير من الشعراء أوتي تلك الموهبة فهي تحتاج الى العين الحساسة
الدقيقة — كهدسة التصوير الجيدة — والى الشعور المرهف ، والى القدرة الشعرية في
التعبير عن الجمال

ولقد أبدع البحري أيما ابداع في وصفه الرياض الجعفرية في قصر الجعفري الذي بناه
المتوكل . وهي بقعة شهيرة من بقاع الجبال في الأدب العربي . اسمعه يقول : —

مخضرة والغيث ليس بساكب ومضيئة والليل ليس بمقمر
ملأت جوانبها السماء وعانقت شرفاتها قطع السحاب الممطر
وتسير دجلة تحته ففقاؤه من لجة غمر وروض أخضر
شجر تلاعبه الرياح فتثني أعطافه في سائح متفجر
وليس من الضروري ان يكون المكان مفرطاً في الجمال أو بالغاً الغاية في الحسن الطبيعي
ليعت ذلك الشاعر على تسجيله . فقد تكون البقعة جميلة لما للشاعر فيها من ذكريات ، ولما له فيها
من صبايات مضت ، وعلاقات انقطعت . وحينئذ يذكرها بالحسرة ويود لو عاد سالف زمانها ،
ومنصرم أيامها «كالبحون» و«الصفاء» فقد ورد الشعر بخصوصهما كثيراً وهما ليسا بموطن فائق للجمال
كان لم يكن بين البحون الى الصفاء أنيس ولم يسمر بمكة سامر
على انه من المحقق ان في شبه الجزيرة الفاحلة ودياناً كثيرة رأى الشعراء فيها نوعاً خاصاً
من الجمال فدوّنوه وتغنوا به

وأكثر الأودية حظاً ، وأخذها اسماً هو الذي خلده حمدونة الاندلسية بهذه الأبيات
الرائعة ، وقد نسبت في بعض السكتب الى ابي المعلّى : —

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاء مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المراضعات على الفطيم
وأرشفنا — على ظمأ — زلالاً ألد من المدامة للنديم
يروع حصاء حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظم
وبعض البقاع — كـبعض الأناسي محظوظ — تصادفه الشهرة وتدور حوله بحلة السعد ،
فيدور اسمه ، ويخلد ذكره ، لبيت قاله شاعر ، او سطر دوّنهُ نائر . وأصدق مثال على ذلك

« شعب » بوآن . فقد خلدهُ أبيات المتنبي التي منها هذا البيت : —
مغاني « الشعب » طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

وإذا نظرت الى الأدب العربي وجدت ان أكثر ما يتعلق منه بالوصف ومحاسن الطبيعة يرجع الى الأندلسيين . ولهم في ذلك الحق كله . فبلادهم جميلة ناضرة . ورياضهم مثمرة زاهرة وقد خرج العرب من الجذب الى الخصب ، فأحسنوا الوصف وأبدعوا المقال . وحق لابن خفاجة أن يقول : —

ان للعبضة بالأندلس محتلى مرأى وريراً نفس
فسنا صبغت من شغب ودجى ظلمتها من لعل
فاذا ما هبت الريح صبا صحت واشوقى الى الأندلس !!
ولقد ذكر الشعراء الأندلس على طريقة التعميم . وبعضهم خصص فوصف وادياً بعينه ا
أوروضة بذاتها أوجيلاً بنفسه فجاء وصفه كالأصل والصورة في المرأة — ومن ذكر الأندلس
على وجه التعميم ابن سفر المريني حيث يقول : —

وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها والحرز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف برق به من لا يرق وتبدو منه أهواء

ومن المواطن الجميلة في الأندلس « العامرية » وهي نزهة جميلة من نزه الدنيا . فيها الشجر
الملئف ، والغصن المورق ، والطير المغرد ، والجدول المصفق ، والزهر الناضر والترجس الضاحك ،
أنشأها « المنصور » المشهور بن أبي عامر ووصفها ابن العريف بقوله من أبيات طويلة : —

انظر الى النهر فيها ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكراً على ذرا الاغصان
والقضب تلتف سكرًا بميس القضبان
والروض يفت زهرا عن مبسم الاقحوان
والترجس الغض يرنو بوجنة النعمان

وكانت اشبيلية جميلة الموقع ، جميلة الضواحي فائقة الدساكر . وبها من الوديان كثير . الأ
ان من بين هذه الوديان الكثيرة نذكر وادي الطلح في شرقها وكان يرد الزارون ، طلباً
للعافية والتماساً للراحة واستجماماً للنفس . وفيه ما في وديان الأندلس من الماء والنماء . وكان

الشاعر المعروف نور الدين بن سعيد المغربي يتردد عليه في صحبة حبيب، ومأمن من رقيب
فذكره بأبيات كثيرة منها هذه الأبيات : —

واذكر بوادي الطلح عهداً لنا لله ما احلى وما اطيباً
بجانب العطف وقد مالت الأغصان والزهر يبت الصبا
والطير مازت بين ألحانها وليس إلا معجباً مطرباً
ولشعراء الشام شعر كثير في وصف الطبيعة وذكر مواطن الجمال. ولعل البقعة التي سجلها الشاعر بقوله
جوها سيجسج وفيها نسيم كل غصن الى لقاء يميل
ايه يا ماء نهرها العذب صاصل حبذا يا زلال منك الصليل
ايه يا ورقها المرنة غني فحياة النفوس منك الهديل
اعلمها مما يستحق التصوير في هذا الشعر الرقيق

(ونهر بردي) بالشام من أهم البقاع وأكثرها دوراناً في الشعر العربي. وقد ذكره المرحوم
احمد شوقي بك في قصيدته التي اولها : —

سلام من صبا بردي أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق
كما ذكره في كثير من قصائده الشاميات.... وذكره أيضاً الشاعر الدمشقي حسان بن نمير
بخطاب صلاح الدين الأيوبي : —

(ويا بردي) لازال مأوك باردا وماء الحيا من ساحتيك نير
أبي العيش الأبين أكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور
وكم بحمي (جبرون) سرب جاذر حباثلن الماء وهو نفور
والآبار والعيون من مواطن الجمال الخالدة الخلدة في الشعر. وقد رأيت بعض العيون
المشهورة في سويسرا وفرنسا وانكلترا وأدركت سر الجمال فيها. إلا أن الجمال هناك صناعي
مجلوب بالتطرية والتجميل ولكنه على كل حال جمال
وفي الشعر العربي كثير من الآبار التي خلدها الشاعر، وأبقاها الشعر. ومن ذلك (بئر
الحجيلاء) التي قال فيها يحيى بن طالب الحنفي متشوقاً : —

ألا هل الى شم الخزامى ونظرة الى قرقرى قبل المات سبيل
فاشرب من (ماء الحجيلاء) شربة يداوى بها قبل المات عليل ??
ومنها أيضاً (بئر خدوراء) التي سجلها جعفر بن عتبة الحارثي بقوله : —
ألا هل الى ظل النضارات بالضحي سبيل ونفريد الحمام المطوق ؟
وشربة ماء من (خدوراء) بارد جرى تحت أفنان الأراك المسوق ؟

ومن بقاع الجمال في الشعر العربي الديور جمع دير وكثيراً ما ورد وصفها في الشعر، وتسابق الشعراء في تسجيل جمالها والاشادة بحاسنها . ويظهر للمطالع وصفها أنها لم تكن ديار عبادة فحسب ولكنها كانت بقاءً من بقاع الجمال تفتن اليد الصنّاع في توشيتها وتحليتها ، وتبدع يد الفن في اقامتها وتشيددها ويحيط ذلك كله بدائع من الطبيعة ما بين ماء يجري ، ونسيم يسري ، وشجر تملأ أفنانه ، وتعانق أغصانه ، وزهر أنيق الألوان ، مختلف الأشكال ، وغدر جارية وعيون صافية

والشواهد على ذلك من الشعر كثيرة مبثوثة في كتب الادب ، منشورة في معاجم البلدان وللصنوبري الشاعر الوصاف في ذلك كلام يمتد ، ونفس يطول . اسمعه يقول في (دير زكى) قرب الفرات : —

معاهد بل مآف باقيات	بأكرم معهدين ومألفين
أضاحكها الفرات بكل فن	فتضحك عن نضار أو لحين
كأن الأرض من حمروصفر	عروس نجتلى في حلتين
كأن عناق نهري دير زكى	— اذا اعتنقا — عناق متممين ..
أيا متزهى في دير زكى	ألم تك زهقي بك زهتين ؟
ويا سفن الفرات بحيث تهوي	هويّ الطير بين الجهلنين
تطارّد مقبلات مدبرات	على عجل تطارد عسكرين
نُرانا واصليكَ كما عهدنا	بوصل لا تنفصهُ بين ؟؟

فهذه الايات تصور لك الدير صورة جميلة وقد ضاحكته مياه الفرات ، وبدت فيه الازهار كأنها وثنى ثياب العروس ، وجرت أمامه سفن الفرات صاعدة ومنحدرة ... على أن لكشاحم الشاعر المشهور وصاحب الريشة المصورة الماهرة أياتاً في وصف دير القصير بمصر يقول فيها : —

أما تزيان الروض كيف بكى الحيا	عليه فأضحت ضاحكات زخارفه
تسر بل موشي البرود وأعلمت	حواشيه — من نواره — ومطارفه
وقد نشر الوسمي بالطل فوقه	لآلىء كالدمع الذي أنا ذارفه
وأعرس فيه بالشقيق نهاره	فأشبع من صنع العذارى ملاحفه
ولاحظه بالترجيس الغض أعين	فواتر إيماء الجفون ضعافه ...

وقد أضافت كل هذه البقاع الجميلة ، والمواطن الفاتنة ثروة كبيرة الى الأدب العربي خلفه

بالدرس والمعاودة من حين الى حين

حَدِيثَةُ الْمُقْتَضِفِ

الادب العالمی

١ — آرست ربتان

٢ — في ندي مدام دو دوقان

لطامل محمود ميب

فجر القبرة

قليل هنراوى

الادب العالمي

- ١ -

أرنست رينان

ارنست رينان فيلسوف عبقرى استطاع ان يخلب عقول الجمهور الفرنسى بما حباه به الله من جرأة في الفكر تنسكب سلسالاً عذباً في أسلوب رقيق فيه الطلاوة والحلاوة والروعة . . . ولقد كان يمزج رأياً فلسفياً محضاً وعاطفة مشبوبة ، لا ينكر الاول ولا يتناسى الثانية ، فهو يجذب قارئه في هواده ورفق الى مذهبه الدهري على حين ينفث في قلوبهم نسمة هينة من العقيدة الدينية ، ويذر في نفوسهم غراس الدهرية التي دان بها على حين يبعث فيهم الشك في طقوسهم الدينية في غير عنف ولا شدة . وفي الحق لقد وجد في الايام معواناً وساعداً ، فكتابه « حياة يسوع » أخذ يدرج نحو الحياة والدنيا بموج مضطربة بالآراء الدينية . وسيطرت على العقول فكرة ما تبرح أن رينان قد ارتد عن دينه . زعم جماعة هذا الزعم وهو كان يبذل جهده الطاقه في أن يغرس في نفوس الرومان الكاثوليك حب الخير والرقه والاخلاص والسمو ، وان يسدل على فكرة التثليث الالهى ستاراً كثيفاً لمحوها رويداً رويداً من عقيدة النصارى

وظهر كتاب « حياة يسوع » فأجج ثورة جامحة كانت هي حدثاً من الأحداث التاريخية في عالم الأدب والفلسفة في القرن الثامن عشر فلقد رن صدق خبره في أرجاء العالم المسيحي لأن عبقرية رينان الأدبية وروعة اسلوبه ودقة عباراته وسمو خياله وقوة أفكاره لم يكن لها نظير منذ أن كان شاتوبريان الفيلسوف الحيار ، ولأن المفكرين من ذوي العقول الحرة الجريئة كانوا قد راجوا يتهدمون على رجال الكنيسة ، ويتدفقون سيلاً جارفاً من النقد الصارم على ما كان يحترمه

رجال الدين في ذلك الوقت ودوت الصيحة في كل مكان فاستلب رينان من كرسيه في كوليج دي فرانس بتهمة الالحاد والكفر . أفكان حقاً أن رينان قد مرق من الدين مروقاً وهو قد تَنَشَأُ في البروتستنتية القديمة على يدي أمه البريطانية التي كانت تحاول أن يكون هو — في يوم ما — قديساً ؟ ومهما يكن في الأمر من شيء فلقد حنق الأساقفة ورؤساء الدين على هذا الزنديق الخائن غير ان زمراً من صغار القسيسين الذين انكبوا على الكتاب يطالعونه في دقة وعناية ففتش فيهم من روح الكتاب العظيم ميلاً نحو رينان فكتبوا اليه رسائل فيها الثناء والاطراء ، بشجعوه ان يمضي على سنته ... ثم ... انتشرت آراؤه ...

وتشعبت أبحاث رينان طرائق قدداً غير انها ما زالت متصل بسبب بلأساسة الروحية التي نزعته من العقيدة الكاثوليكية ، وبمذهب الدهريين الذي صبا اليه بما يكتب عن تاريخ الاسرائيليين والمسيحيين ، وبفصول ينشرها على الناس بين الحين والحين ليجذبهم اليه ، وباللأسي والمذكرات الفلسفية التي يطلع بها على العالم بين الفينة والفينة ثم ... ثم جاءت حفيدته هنريتا تنشر على أعيننا صورة للرجل الفذ دونها كل صورة حين ضمت اشتاتاً من كتاباته وراحت تفندها وتستخلص منها حياة جدّها بما لها من نظرة ناقبة تغلغلّت بها الى مشاعر الرجل وعواطفه ، فهي بذلك قد أبدت للناس أشياء جهلوا بها ومحت أشياء ما هي من الحقيقة في شيء أشيعت حول الرجل لأغراض أرادها جماعة من أعدائه الذين حفظوا له في قلوبهم فنوناً من الضغينة والحقد ، ثم هي قالت ان العقيدة الدينية في الرجل ظلت تتنزي بين الحين والحين في قلبه رغم ما ثار حواليه من وشايات واقتراءات بعثها زعماء الدين مدوية لأن عقله الجبار لم يشأ أن يميل به الى حيث يسلم بمعتقدات الكنيسة ، ولأنه استلّ من بين جنبيه مبدأ فلسفياً لم ينزع عنه طول أيام حياته . على ان رينان — في فلسفته — أبي ان يقيم حدّاً بين الماديات والالهيات بل قدّس الطبيعة في مظاهرها جميعاً ، وبدا الانسان في عينيه مخلوقاً لم يركّب قط من عنصرين منفصلين هما المادة (الجسم) والروح انما هو وحدة اتحدت فيها الروح والجسم في وقت معاً فلا يستطيع واحد منهما ان يستغني عن الآخر

لم ينس رينان قلبه في حين كانت الأفكار الفلسفية الصعبة تضطرب في عقله ولكنه كان مثلاً عالياً من أمثلة الهوى والحب والوفاء والاخلاص ، تشهد بذلك قصة زواجه وسنوجياته الزوجية ، وهو كان يرى في اتحاد الجسمين (الذكر والانثى) روحانية لا يسمو عليها اتحاد روحيين ، ولهذا كره الرهبانية التي عكف عليها رجال الدين وسخر بها في أسلوب لذائذ قاسٍ.

وكان في رينان العناد ، فهو يدفع عن آرائه في غير وهن ولا ضعف ، وفيه من قوة الأخلاق والشجاعة والصرامة ما بدا واضحاً جلياً حين توزعته آلام المرض الطويل وهو على فراشه لم يتضعض ولم يذل ، وحين أخذته سكرة الموت وهو ينظر في هدوء ورضا ، وزوجه الوفية الى جانبه ما تستطيع شيئاً لأنه طلب اليها ان تذرهِ الى الطبيعة . . . الى أمه الرعوم . . . وهي تسترد منه ودبتها في عنف وشدة . . . ثم فاه بالكلمة الأخيرة وهو يحدث زوجه : خبرهم انني استسلم دائماً للقانون ، ثم أسلمته الحياة المائجة الى الهدوء . . . الى غاية كل حي

— ٢ —

في ندى مدام دو دوفان

مدام دو دوفان فتاة جذابة آسرة فيها روعة الجمال وطلاوة الحديث ولطف الشمايل ، وهي نبيلة المربي والمنشأ ، شبت بين السطوة والسلطان والجاه والمال في وقت معاً ، وبدت في المجتمعات — أول ما بدت — سنة ١٧١٨ عروساً للوصي على عرش فرنسا ، وما تلبثت إلا قليلاً ثم ساورها الملل والسأم حين لمست تفاوت ما بينها وبين زوجها فهي فتاة في ريق الصبا وغض الشباب واكتمال الانوثة تنزى طائفة وأملاً ، وهو رجل قد حطمت الأيام وعبت المشيب فاندفعت تعيش عيشة السرف واللذة واللهو شأن زميلاتها في ذلك الحين . ورمت بها حياة العبت في مطارحها لا تهدأ ولا تستقر حتى وجدت بغيتها في هينولت ، في قاضي القضاة فألقت بنفسها بين أحضانهِ وتوثقت بينهما صلات . . . وعند الثالثة

والثلاثين من سني حياتها راحت تستقبل في دارها رجالاً من أفذاذ السياسيين وجهاً بذه الآداب وجدت في أحاديثهم المتعة والسرور فابتدأ مجلسها الأدبي وهو أول مجلس من نوعه... ثم هي تدعوهم — بين الفينة والفينة — الى غداء حوى من ألوان الطعام وفنون الشراب ما تطيب له النفس وتقر به العين، وهي نهمة ما تبرج المائدة إلا وهي لا تجدد في معدتها متفناً، ولعل إسرافها في الشراب والمأكول كان بعض ما أسدل على عينيها سترأً كثيفاً ففقدت بصرها عند الخمسين

ولقد كان في عقلها من النشاط والقوة بقدر ما كان في معدتها من نهم وشراهة فهي رفيقة فوتناني ومونتسكيو وفولتير... وأربعين من عباقرة الجيل، وهي بينهم واسطة العقد والزهرة الفذة في هذه الطاقة البانعة. وظل هذا الندي يسمو على ندي مدام جوفرين وهو قد ضم بين أضعافه كتاب دائرة المعارف ونجدة من السياسيين... ووسط هذا الجدل الفلسفي العنيف الذي كان يضطرم تحت سقف دار مدام دوفان فقدت هي عقيدتها الدينية، غير أنها لم تكن لتأذن لأحد أن يثلب الدين، على حين كانوا يقدحون في حق الحكومة نقداً وتجريحاً، واطمأنات هي الى هذه الحياة هوناً ما، فعاشت في عقلها دون قلبها، غير أنها لم تجد السعادة والمرأة لا تجد السعادة إلا أن تجد لذة قلبها — فكانت رسائلها تشف عن حزن عميق دفين بين ثنايا قلبها رغم ما فيها من نكتة ظريفة أو فكرة طريفة... وعاودها السأم مرة أخرى، فأني هدف في الحياة ترمي اليه، وأي أمل تهفو نحوه؟ وبدأت الحياة جرداء قاحلة حين ابتداء الجمع ينفض عنها الى مجالس آخر، وحين رأت ندي مدام جوفرين يرقى رويداً رويداً فيسمو على نديها، ولكنها تماسكت حين زعزعها الدهر... وأصابها العمى فبرهنت على بعض ما فيها من ذكاء وحزم وعزم، فاخترعت نوعاً من الآلة الكتابية تسطر بها خطاباتها الى أصحابها وصديقاتها والمثل ما يزال يتسلل الى قلبها فما انسلخ عنها إلا وقد ولي شطر عمرها الحلو، فأشرق النور على قلبها ولكنها لم يقو على أن يزيح عنه دياجير الظلام المترامية

ولشد ما ألم مدام دو دوفان أن ترى ابنة أخيها جوليا تهجرها لتؤسس لها ندياً أدبياً في الطبقة العلوي! إن جوليا شابة في ريعان الشباب وهي طفلة غضة

بضعة فتاة تستهوي القلوب بجمالها ودلالها وتأسر الأفتدة برقتها وحلاوتها ، فكيف لهذه العجوز التي تخطو نحو الغاية في خطى فساح أن تنازعها الأمر ؟ وجوليا هي منها بمثابة الابنة لأنها نشأتها وسهرت عليها عمراً من عمرها أفستطيع أن تغلفظ عليها أو أن تقسو أو أن تحذرها مغبة أمرها ؟ وأخذ الغيظ والكمد يتسمران في قلب العجوز وهي ترى ابنة أخيها تستميل الناس اليها فستبلمهم منها رويداً رويداً لتخلف ندي العجوز قفراً إلا من بقية لا غناء فيها ولا سلوة . وبدت جوليا فتاة حديثة عابثة مستهترة لا يردّها دين ولا يردّعها ضمير فربطت بينها وبين ثلاث من اصحابها في وقت معاً برباط ليس هو من الشرف ولا من الطهر... ووجدت مدام دو دوفان ثغرة فاندفعت منها والغيرة توشك أن تعصف بعقلها ... اندفعت تسخط على الفتاة بكلمات قارسة لداعة ثم قذفت بها الى خارج الدار

على أن مدام دو دوفان ظلت عمرها الطويل تحمل بين جنبيها قلباً قتيلاً لم يتسرب اليه برد المشيب ولا يأس العمى فهو ينتهز الفرصة ليخوض في بحر الهوى كأنما هو في سني الشباب الأولى ...

وتعرفت السيدة وهي عند الثامنة والستين بفي انكليزي كاتب هو هوراس والبول ... عرفته حين ابتداء يتردد على باريس في الفترة بعد الفترة فراها أن ترى فيه العبقريّة والظرف والركة و ... أشياء أيقظت في قلبها خواطر دفنتها منذ زمان وأحست كأن شيئاً يدفعها إليه ففاض في فؤادها سيل من الحنان الأموي والهوى الجامح في وقت معاً ، ولبتت هذه الآصرة بين العجوز والفتى عشرين سنة ، واختلفت بينهما الرسائل ، فرسائلها تحمل إليه عاطفة جياشة نائرة في كلام عذب جميل هو بعض نزوات قلبها ورسائله تحوي عطقاً عليها وحناناً ثم يعتب عليها في غير إسراف أو ينطوي عنها في فنور أو يؤنبها في قسوة وملال . وأنى لعجوز عمياء أن تجذب اليها قلب هذا الشاب ليكون لها وتكون هي ... ؟ ولعلها أرادت أن تجد فيه أنيساً في وحدتها وخلوتها لا تجد في هذا العالم من يخفف عنها بعض آلام الحياة ومصائبها ... ثم ماتت وعلى فراشها خطاب الى الرجل الذي أحبت ...

كامل محمود حبيب

« فجر القبرة »

« كثيرون يعرفون القبرة بشكلها الرمادي الادكن وصوتها الرفيع المرنان. ولكن القبرة من الطيور الغريبة في حياتها وتأملها للحياة. روحانية تبلغ أسمى ما تبلغه الروح ومادية تنحط الى أسفل سافلين . في حالتها الأولى تراها تغزو اطباق الجو عند منبج الفجر تردد الغناء سكرى بالجمال حتى اذا بزغت الشمس فزعت الى الارض تنقش عن غذائها ذاهلة عن غنائها . ومثل هذا المشهد قد يصور أحسن تصوير حالة الذين يرقون الى شمس الحكمة بأرواحهم، ثم لا يقدر على مقابلتها فيهبطون، فلا الارض تذهلهم عن السماء ولا السماء تفصلهم عن الارض . ولا شوقهم بمنطق ولا ارواحهم بساكنة . هؤلاء هم كهذه القبرة »

أسمعها : أسمعها بعيدة عني ، دانية مني .
أسمعها يشق غناؤها الفضاء الذي تفتح جفناه
أسمعها يتسلل شعاع قلبها مع شعاع الفجر

قد انجبت — يا قبرتي — غياها الليل، بعدما ظننت ان هذا الليل سرمد لا يزول
وانزاحت عن الأفق كتاب الظلمة، وقد خلت ان هذه الألوان الربداء لا تحول.
وسطعت لك المروج بعدما حسبت انها توارت عن عينيك الى الأبد !

أراك تمعين في التحديق ، حتى لأرى أنا مل الفجر تجذبك اليها :
فماذا تركت في الجو بالأمس ؟
أشيثاً تفقدينه كل مطلع فجر ؟
أم أغنية تحملينها الى الفجر ؟
أم أمانة تتسلمينها من الفجر ؟

أرى جناحك يرفان ويخفقان ،
يربضان طوراً وطوراً يلتهبان .
وصوتك المرن يصعد في السماء
تسمعه الارض قهتز قليلاً ، ثم يتوارى كأن لم يكن شاد ولا غناء .

هي سكرة قدسية — يا قبرني — رفعت الأوج السامق
 رفعت على جناحي الشوق ، وتنطقك بلغة الغناء
 فما أسمى هذه السكرة التي لا يتخللها صحو !
 وما أبدع هذا الشوق الذي لا يطفئه وصال .

أنت من فرك — أيتها القبرة — في صعود دائم
 أنت من شوقك في وصال قائم
 تمجدين الشمس في الغفوة التي تتعانق فيها اشعة الفجر وخيوط الليل .
 وترفعين إليها صلاتك وغناك قبل ان تطل عليك .
 حتى اذا لمعت في الافق ووقعت عينك على نورها الخاطف ،
 فررت الى أطباق الارض عشواء العينين واجفة الفؤاد .

ألا تتمهلين قليلاً حتى تراك الشمس وانت في الاطباق العالية تغنين لها !
 ألا تتمهلين حتى تتمتع عينك بالكوكب الساطع
 ويرتاح قلبك لمن خفف لقاؤه شوقاً وحنيناً .

عينك لم تستطع ان تحمل شعاع شمس « المعرفة »
 وفؤادك ناء بافراغ شوقه للحبيب !
 وفي اللحظة الاخيرة تراخي جناحك ، وعشيت عينك .
 وتدحرجت على الارض بعد ان رقيت معارج السماء .

ألم تذوقي لذة الشروق ؟
 ألم تطعمي طعام ذلك العالم العلوي ؟
 ألم يكشف لك عن خزائن ذلك الوجود
 الشوق والغناء والويل والغناء . . . كلها تذوب تحت لوائك أيتها الشمس !

ما وصالك الذي تنغنين به ؟
 ما شوقك الذي أفهم الفضاء

ما سركِ الذي لا صحوة فيه ؟
إذا كان نور « الحقيقة » لا تحمله عيناك .

أتخافين احترافاً في الاجواء
أنها بين النطلع الى شمس المعرفة !
أم تصلين كل يوم الى المعرفة وتقفين على بابها، فإذا أطلت تواريت من وجهها
المهيب ، وآثرت ان تحطبي صامتة
كانك كلما صعدت مرة ذهب جزء من روحك وراءها في الفضاء وهكذا حتى
تتوزع اجزاؤك كلها وتبلغني المرحلة الاخيرة .

وددتُ — يا قبرتي — ان أراكِ تزيدن امعاناً في التحليق !
وددتُ ان أراكِ صاعدة حتى لا يبقى على الارض منك شيء
وتمنيت ان ترينمك لا تفقاً تتردد في الجو مبتعدة عني حتى تصير ترنيمه صامتة .
أهلاً بك أيتها العائدة من عالم المعرفة ! منتصرة او منكسرة
ففي عينيك ذبول الشوق
وفي قلبك لهيب
وفي جناحك وجيبه

لم تذوقي — بعدُ — تلك السكره العميقة التي لا يعقبها صحواً !
ولم يضرم قلبك ذلك الشوق الذي لا يُسأمك الا الى شوق .
لم تحبي شمس المعرفة محبة كلية شاملة ولم تؤثر في الغناء فيها .
أتخافين احترافاً في هذه الشمس !
ادني واقترني ! أيتها القبرة من الشمس
وتابعي أغنيتك حتى تحترقي ، وتردك الشمس الى الشمس ،
يا فراشة الطيور المحترقة بدون لهيب

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

حتى، حول « تشرنشل »

« بمناسبة ظهور كتاب تشرنشل لحرر المقتطف »

إن القارئ لا يستطيع أن يفرغ من هذا الكتيب بغير أن يكون قد وقف أمام عبارتين للرجل وموقفين له . فإذا مثلهما فقد تجمعت لديه الخطوط الخارجية لهذا الرجل فاما العبارتان فهما هاتان : « هل طاب لك القتال » يقولها الجندي في الحملة السودانية ، و « هل تجد متعة في القتال » يقولها الجندي في الميدان الغربي في الحرب الماضية . وأما الموقفان فهو ما كان من خروجه على زعيم حزبه المحافظ حين أراد العدول عن مبدأ حرية التجارة ، وانضمامه الى الأحرار و « قلب سترته » ، والآخر هو ما كان من تعبئة الاسطول قبل أن يصدر المرسوم الملكي بذلك وبغير أن يمنح سلطة من الوزارة وبحسبي هذان الموقفان ، وتلك الكلمتان لتخطيط هيكل الرجل كما يصوره الكتاب : رجل فضال بكل ما في الكلمة من قوة وعنف ، يتعشق القتال ويتلمس إليه السبل ، وهو بعد ذلك رجل يميل بطبعه الى الرأي الطليق والفرد بالأمر وحمل مسئوليته كاملة فإن هذه الصورة من الصورة التي تتجمع لدينا حين نتخيل زعيم أمة نجب ان تقدم نفسها للعالم محبة للسلام كارهة للحرب ، ولا تقناً تدعو لنفسها بحب الحرية والديمقراطية وكرم الطغيان والنظم الفردية ؟ وأين هذه الصورة من الصورة التي تتجمع لدينا حين نقرأ للرجل ونسمع الى حديثه مندداً بقوى الشر والظلام، ومسفهاً نظم الاستبداد ، ومبشراً بعهد يسود فيه العدل والقانون في علاقات الدول فلا تكون بها حاجة الى امتشاق الحسام لتسوي ما يشجر بينها من خصام ؟ اني أرى في هذه الصورة الاخيرة رجلاً خريج البيئة الانكليزية بما فيها من سيادة الشعب ورأي الاغلبية ، وبما فيها من حب الشعب للسلام ، فإذا استنير دخل المعركة بقلب كئيب لانه لم يقبلها الا حين أصبحت السلم شرّاً منها وأثقل ورمعاً

ولا أريد أن أقول ان الصورتين تناقض احدهما الاخرى في الواقع . بل انما ادعي ان الصورتين تكل احدهما الاخرى بما يظهر عليهما من هذا التناقض والتضاد ، ومن تكاملهما يخرج لنا رجل ينض بالحياة . لماذا نحاول دائماً أن نجعل خلق الشخص خالياً من التناقض ، وتصرفاته غير

مشوبة بالتضاد ؟ إتنا لانكاد نجد رجلاً يتصرف في كل شيء طبقاً لمنطق واحد. ان «الظروف» هي كل شيء في دوافعنا وتصرفاتنا . ولذا فأنا أجمع الى صورة تشرشل صفات من يقدر رأي الجماعة ، ويتعمق التفرد بالأمر مع ذلك ، ومن يطلب السلام وينظر اليه كأعز أمنية لدى البشر ولكنه يهوى المعركة ويطرب لها ويوجد فيها الحياة النشطة الجديرة بأن تسمى حياة . فهل ترانا تتكلف حين نجمع للرجل هذه الصفات المتباينة في وقت واحد ؟ يفصل في هذا ان نقرن الرجل برجلين عرفهما التاريخ وعرفنا عنهما الكثير، فنجد بينه وبين كل منهما شياً كبيراً ، ثم ننظر اليهما معاً ، فنجدهما يتباينان أشد التباين . ولأستدرك فأقول إني لا أريد ان أقول هل تشرشل قريب لهما ، أم هو دونهما ، أم انه قد شأهما ، فهذا كلام يقوله التاريخ بعد أجيال

فيذكرني تشرشل أبراهام لنكأن حين أنظر الى وقفته الجيالة في وجه التحدي ، وهزته بالعاصفة مهما تقنلع من شجر وتدمر من حضر ، ثابت الجنان غير مززعج الايمان . فكذلك فعل لنكأن عندما هدد أهل الجنوب بالانفصال وأخذوا جنوده على غرة ، وأرادوا أن يفرضوا عليه ارادتهم بالقوة ، فعندئذ رسخ كالطود ، وذبح عن رأيه وعقيدته ، ولم يقصر في تحدي العاصفة ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ووطن النفس على كثير من الدم والدموع والعمل والعرق وراح يبشر بمبادئ الحرية الفردية واستهجان العبودية والرق وحب السلام . وكان نصير الديمقراطية والحرية . هكذا الرجلان . ولكن مع الفارق : فأبراهام قد دخل الحرب بقلب كئيب وفؤاد كبير حين رآها شراً لا بد منه ، وهو يحاسب نفسه كل يوم كم سيقول من أمته ، ويود لو استطاع انهاء الحرب وقتل الفرائز التي تسوق اليها ، وهو في ذلك صاحب فلسفة بديمة وأفكار سامية ، وليس عجيباً ان نراه يفخر إبان المعركة ، حين يذكر شيئاً عن ماضيه ، بأنه قد انخرط في سلك الجنود لمحاربة الهنود الحمر ولكنه حسن الحظ لم يقتل ببندقية أحداً . فأين هذا الرجل من تشرشل الذي تطيب له الحرب ويوجد متعة في القتال !

وهنا يذكرني تشرشل بنابليون . وكيف لا أقول وقد قرأت عنه كيف كان ينقطع ساعات طوالاً في إحدى مغارات كورسيكا يقصف بمدفعه النحاسي ويهجم جيوشاً ويدبر خططاً للهجوم والدفاع ، ثم هاأنذا أقرأ عن تشرشل قصة طبق الأصل من هذه ؟ وأين الرجل الذي يؤرجل للحرب بكل ما في الطاقة من بأس ، وما وهب الله من قوة ، لشبيه بالرجل الذي يستمر في سرحه سبع عشرة ساعة يشرف على ميدان القتال : ينظم البنود ويحفز الجنود . ألا يشبه تشرشل أبراهام ؟ ألا يشبه كذلك نابليون ؟ ومع ذلك فان لنكأن ونابليون يختلفان أشد الاختلاف . او هكذا يصورها التاريخ

تشرشل ولنكأن : كلا الرجلين تزعم انه أحسن التعبير عن افكارها وارادتها . ولكن الأول مقاتل مفاخر بطبعه ، والآخر مسالم وديع يقرب اخلاقاً من الملائكة

تشرشل ونابليون : كلا الرجلين فطر على الشغف بالمعركة كأروع ما تكون ، في سبيل غايته ، ولكن الأول زعيم أمة في فترة من حياتها ، والآخر قائد جيش ويجب ان نقرر بأن في تشرشل دماء الحاكين بأمرهم كأحر ما تكون الدماء . ولكنه بحكم الظروف يدافع عن قضية الحرية الشخصية والحياة الديمقراطية . والذي كيفه في هذا السبيل تقاليد أمته في السلم وهي أمتن من نفسه وأرسخ في عروقه من دماائه الحارة في عروقه ، وتقاليده أمته في الحرب وهي مشجع وحافز لنزعائه النفسية ، ومفرج عن مرجل روحه الثائرة الفائرة . واذن فليس من الصدق ان تشرشل لم يتلأ لأ نجهه الا على أطلال المعارك والاشلاء في الحزب تنزل امته عن أكثر حرياتها وتحصّر زعامتها في أبدٍ قليلة ، وان شئت الاخرى في يدٍ واحدة . بينما هو في السلم منبوذ من الأمة مقصي به عن الحكومة ومن الانصاف للأمة الانجليزية انها لم تتخذ على رأسها تشرشل والسلم وارفة الظل ، لأنه — في السلم — شذوذ عنها وخروج عليها . ومن الانصاف لها انها قد تتخذنه على رأسها وقد استعمر القتال — فهو — في الحرب — خير معبر عنها . هذه كلمة أرمي بها الى قرارة كتاب الاستاذ فؤاد صروف عن ذلك الرجل الجدير بالتقدير عبد اللطيف غزالي

أبحاث عام النفس

في التربية والتعليم للاستاذ ادمون عبد النور

هو كتاب أشهر بكثير من الغبطة اذ أقدمه لقراء الثقافة عامة ولهيئة المدرسين ووزارة المعارف خاصة . وهو مجموعة بحوث قيمة خمسة وعشرين عالماً ومربياً أميركياً . نقله الى العربية الاستاذ الفاضل ادمون عبد النور . وقد امتاز هذا الكتاب بدقة البحث ووضوح الغاية بالرغم مما في ترجمة مثل هذا المؤلف من صعاب لكثرة ما جاء فيه من اصطلاحات علمية لم يرد لها ترجمة عربية من قبل . فذلّل الاستاذ المترجم كل هذه العقبات ووضع لهذه التعبيرات العلمية الفاظاً عربية صحيحة وهو يبحث في موضوع كان وما يزال مثار الجدل الشديد ومبعث التناقض والاضطراب وهو موضوع معالجة مشكلات التعليم المختلفة . وبما لج علماء الأميركيين مشكلة العاطلين يبحث وافٍ في فصل « التربية هي المقدرة على النمو في المستقبل » . فالطالب الذي يتم سني دراسته ثم يفقد عن العمل لأنه عاجز عن التوظيف في الحكومة هو مشكلة تعليمية . فتعليمه من أوله كان ناقصاً فاسداً . وكَم من المتعلمين العاطلين في بلادنا هم نتيجة سوء التربية والتعليم . وهذه حقيقة أثبتتها علماء أمة حديثة تقدمتنا في الرقي والعلم بمراحل . ولقد غنيت الدوائر التعليمية الأميركية عناية خاصة بعلم حفظ الصحة العقلية لأنها رأت بعد البحث الدقيق ان سبب شذوذ

التلاميذ واحفظهم هو نقص الصحة العقلية . ولا يقصد بذلك حالة الجنون العقلي ولكن سوء التفكير الناتج عن الفقر وانحطاط المعيشة وفوضى الحياة المنزلية . فرأوا ان السبيل الوحيد الى علاج هذا النقص هو عناية المدرسين بصحة الطلبة العقلية . ويصحب كل بحث من بحوث هذا الكتاب رسوم بيانية لبيان سير التعليم والنسيان ، وكفاية تعلم المواد الاجتماعية بالنسبة الى العمر ، ومقدار الوعي بالنسبة المثوية وغيرها من البيانات مما يجدر بالمدرس الاطلاع عليه

أما فصل «التعليم» بقلم العلامة روبرت ديفز فقد كانت له أهمية كبرى في دوائر التعليم الأميركية ومن أبحاث الكتاب ما يعالج تعليم اللغات وهو بحث مهم بالنسبة الى مدرسي اللغة العربية لأهمية ما جاء فيه من تيسير اللغة للنشء . ويبحث أحد مؤلفي الكتاب في «موضوع توزيع الجهد» فيقرر ان الحفظ المتواصل أياماً معدودة قبل الامتحان مما يخالف مبادئ الدراسة الصحيحة . فهو ليس طريقة فعالة لاكتساب المعارف وتثبيتها . اما الحفظ المنظم في فترات متقطعة موزعة مدى العام المدرسي فهو يتيح لنا فرصة مواتية لكي نتعلم ما اكتسبناه ونصل الى اعماقه من غير سأم ولا اجهاد . أما بحث كيفية تحسين التعليم فبه عدة تجارب أجريت في طلبة مدارس مختلفة وفي موضوعات متنوعة ليقرر أيها أجدى لفائدة الطلبة . وأقل ما في هذه التجارب انها تساعد المدرس على تحسين طرق التدريس وأساليبه التعليمية . فالمدرس الذي يكتفي بتعليم الحقائق والمعلومات فقط لن يكتسب تلاميذه فوائد أخرى

وقد فطن أحد علماء النفس الى ضرورة تنمية رغبة المطالعة في نفس النشء ، فكتب فيها أبحاثاً مطولة . وهو يعزو نجاح التلميذ في مراحل التعليم الى وفرة المطالعة ونوعها وأعتقد أن من أهم بحوث هذا الكتاب فصل الفروق الفردية الذي يبحث في حقيقة ما يأتيه الفرد من أعمال في المدرسة أو في وظيفته بصفته فرداً اجتماعياً فان هذا لا يتوقف على مستواه في الكفايات العقلية فحسب ، بل يتوقف ايضاً على عوامل أخرى منها العوامل الشخصية والصحية والبدنية ، فكثيراً ما فسدت العقلية النابغة بسبب صفات سيئة تلصق بالشخصية وهناك بحث طريف في كيفية تصحيح إجابة الامتحانات وكيف يختلف عدد من المعلمين في تصحيح ورقة واحدة فتفاوتت الدرجات ما بين ٣٠ و ٩٨ في المائة . ومن أبحاث هذا الكتاب أسباب العجز في المواد الدراسية وطرق الوقاية والتشخيص والعلاج ، والآراء الحديثة في فلسفة التربية ، وأثر علم حفظ الصحة العقلية ، وكيفية معاملة التلاميذ الشواذ وكلها مزودة بآراء سديدة وعلاجات ناجحة

وأخيراً أهنيء قراء العربية عامة والمشتغلين بالتربية والتعليم خاصة بظهور هذا الكتاب في اللغة العربية . وأشكر للمترجم ما بذل من جهد وعناء في سبيل ترجمة هذا البحث الثمين الذي كانت تفتقر اليه دوائرنا التعليمية

الآنسة أمينة شاكر فهمي

عقيدة اسوالد اشبنجلر

صديقي المفضل الاستاذ رئيس تحرير المقتطف الغراء

بعد التحية والسلام ، قرأت ما كتبه الاستاذ علي آدم ردًا على كلمتي في يهودية الفيلسوف الألماني اسوالد اشبنجلر في عدد ابريل من مجلتكم الغراء ولكن انحراف صحي والاشغال الأخرى حالت دون ان أكتب اليكم قبل الآن ما بدا لي فيه ، فأرجو منكم الفضل بفسح المجال في العدد المقبل لما يبلي ولكم الشكر الجزيل : —

أولاً : أشكر الاستاذ على نشره المصادر التي اعتمد عليها في حكمه يهودية اشبنجلر بناءً على طلبي

ثانياً : حين وصفت اشبنجلر في كلمتي السابقة بدقة التفكير وقوة البصيرة لم أقصد به انكار يهوديته كما فهم الاستاذ بل قصدت به وصفه الحقيقي مبنيًا على اطلاعي التام ودراستي الوافية لفلسفته وأفكاره . وأتخاشى ما فهم الاستاذ فاني أعتقد ان الذكاء ، والعبقرية ، والحصافة ، والبصيرة من مواهب الله يعطيها من يشاء من الأفراد سواء كان مسالمًا او مسيحيًا او يهوديًا او بوذيًا وليس من محتكرات جنس دون جنس ولا من اختصاصات قبيلة دون قبيلة

اما « باروخ سبينوزا » الذي ذكره الاستاذ فأعرف منزلته في تاريخ الفلسفة واثره في تحول الفكر الانساني ولكنه مع هذا لو قرأ مصنفات اسبينوزا ومصنفات اشبنجلر لوجد بينهما بوناً شاسعاً من حيث جدة الأسلوب ، ودقة التفكير ، وقوة البصيرة واستقصاء الموضوع ، واسبينوزا لم يصنف في فلسفة التاريخ والثقافة شيئاً ، وفلسفته في الحقيقة تعد الى مدى كبير صدى الفلسفة العربية الاسلامية ، وهو امر اعترف به كبار فلاسفة الغرب ومفكره أذكر منهم الآن الفيلسوف وفندلاند^(١) والاستاذ آدم متز^(٢) ونفس الفيلسوف اشبنجلر^(٣)

اما تأثير الشاعر الألماني الكبير جوته به ، فلا أنكر ان هذا الرأي يراه بعض الكتاب والمفكرين ولكن بعضهم ينكر ذلك ، وقد قرر اشبنجلر في كتابه « انحطاط الغرب » ان جوته في تصوراتهِ وأفكاره كان تلميذاً للفيلسوف الألماني الكبير جوتفريد ولهم لينتز Gottfried Wilhelm

(١) راجع Windelband : Allgemeine Geschichte der Philosophie Band I, V, S. 484

(٢) راجع A. Mez : Die Renaissance des Islams S. 194

(٣) راجع Untergang des Abendlandes Band II, S. 294, 395

Laibniz وأنا أزيد عليه أنه كان تلميذاً للشرق كذلك فإن تأثيره في مصنفه الشهير «الدبوان الغربي الشرقي» بالافكار الشرقية وعلى الاخص افكار شعراء ايران وتصوراتهم وأساليبهم ، وفي نشيده الشهير في سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي لم يتمه في حياته ، اكبر شاهد على ذلك

ثالثاً — ان المصادر التي اعتمد عليها الاستاذ في حكمه يهودية اشبنجلر ليست من القوة بحيث تعطي لنا علماً يقينياً فيه لأن هذه المصادر إما يهودية او انكليزية او أميركية، ومحابة الانكليز والاميركيين لليهود بعد انتفاعهم بهم في الحرب الماضية معلومة للجميع ، ومشهودة في سمعهم المستمر لتوطنهم في بلاد العرب . فالحق أنه لا يسعنا في الحكم في مثل هذه الأمور أن نقض النظر عما للعوامل السياسية الاخيرة والتعصبات الجذسية الحاضرة من التأثير في عالم التصنيف والاتاج العالمي . فنفس عنوان الكتاب « دجال . دجال » أو « ماذا يريد هتلر » يوضح لنا قصد المصنف وروحه ولا سيما في الظروف الحاضرة . والعالم المحقق النزبه العدل مهما أحاطته الظروف بعز عليه أن يقول قولاً لا يسمو فيه عن الاسفاف وان يتقصد ولا يتمثل فيه برائع الأدب وان يبحث ولا يتبع فيه الحق

لسنا من منكري اشتراك اليهود في بناء صرح الحضارة الحاضرة مع الأمم حتى ولو كان الالمان منهم قبل ربع قرن أو أكثر فإن الالمان كانوا يعيشون حينئذ في المانيا مع اليهود في غابة الوفاق والمحبة كشعب واحد من عنصر واحد ، ولم تصب وحدتهم بالتصدع الا في الحرب الماضية فذاق اليهود بعدها من آلام الاضطهاد على أيدي الالمان ما ذاقوا

رابعاً — ان ما يدفعنا الى الارتياح الشديد في يهودية اشبنجلر بل الى انكارها هو شهادته في مصنفاته على نفسه لأن شهادة اقوال الرجل وآرائه وأعماله على نفسه أقوى وأوثق من شهادة غيره عليه . فهو عاش في المانيا في زمن بلغ اضطهاد اليهود فيه ذروته حيث أنزل بهم أشد النكال وألحق بهم أعظم الضرر وحدث ذلك كله بمرأى ومسمع منه وهو لم يحول ساكن ولم يخفص لهم جناح الرحمة ولا وطأ لهم مهاد الرأفة بفكره الجوال وقلمه السيال ، بل بقي طول أيام حياته أكبر داع الى «الجرمانزم» و«البروشيانزم» كما يدل عليه جميع مصنفاته حتى رأى في بعضها إن العلاج الوحيد الناجع لما وصل اليه العالم من الوهن والضعف والفوضى والارتباك في جميع نواحي الفكر الانساني وأعماله هو «البروشيانزم» Preussentum هذا وقد سألت زملائي الاساتذة في الجامعة من الذين عاشوا في المانيا سنين وتخرجوا من معاهدها فآقروا من عرفه بأنه لم يكن يهودياً



مكتبة المقتطف

الرسالة

للامام الشافعي

شرح وتحقيق الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي

اخراج كتاب قديم اخراجاً علمياً حديثاً وحسن القيام عليه ، وترتيبه وتبويبه وضبطه وشرحه ، وتحقيق أعلامه وتنظيم فهارسه ليس من الأعمال السهلة الهينة التي يتوقف نجاحها على المادة والورق . ولكنه عمل عظيم يتوقف على علم مخرج الكتاب وتمكنه من مادة الكتاب وسعة اطلاعه على كل ما ألف حول موضوع الكتاب وما كتب قبله وما كتب بعده وتنظيم عقلية المخرج تنظيماً يبعد به عن الجنج الى الاضطراب والميل الى الخلط ، وحسن ذوقه في الاخراج حتى يظهر الكتاب شيئاً سويّاً يسعف الراغب ، وينجد الطالب ، ويعين على فهم المسائل فهماً صحيحاً ، وادراكها ادراكاً تاماً

ومن الحظ الحسن ان تتاح هذه الشروط وكثير غيرها لفضيحة الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي الذي قدم الى علماء الدين ، وأعلام الفقه ، وعشاق الاطلاع العلمي ، واذا شئت فقل انه قدّم الى المكتبة العربية هذا الكتاب العظيم للامام الشافعي فجاء بحق مثالا ناطقاً في حسن الاخراج للكتب القديمة على نحو علمي ، ومعلم نظامي

ولم يدع الاستاذ الجليل هذا الكتاب من غير ان يقدم بين يدي القارىء مقدمة تبلغ الثلاثين صفحة ، ذكر فيها شيئاً عن حياة الشافعي واشتغاره بالعلم والفضل ، ودخوله العراق ثلاث مرات ، وخروجه الى مصر ثم ذكر مكانه بين علماء الاسلام ، وموضعه بين أئمة المسلمين فجعله أولى العلماء بأن يقلد ، وأحقهم بأن يتبع

والحق ان للعلماء في الشافعي شهادات لا تنكر ، وما منهم الا ممن عليه او أخذ عنه ، او أسف على ما فاتته منه فهذا داود بن علي الظاهري يقول في كتاب مناقب الشافعي (قال لي اسحاق بن راهويه : ذهبت أنا وأحمد بن حنبل الى الشافعي بمكة فسألته عن أشياء ، فوجدته

فصيحاً حسن الأدب ، فلما فارقناه أعلمني جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن وأنه قد أوتي فيه فهماً . فلو كنت عرفت عرقته للزمته . قال داود : ورأيتُه يتأسف على ما فاتهُ منه)

وهذا أحمد بن حنبل ومقامه بين أئمة المسلمين معروف مشهور . ومكانه في العلم محفوظ مذكور يقول (لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث)

وحبذا لو أطال الأستاذ شاكر في سيرة الشافعي وخرج — ولو قليلاً — عن الصفحات الثلاث التي كتبها في سيرته . ولكننا نستعجزه الوعد الذي أخذه على نفسه بكتابة سيرة جامعة خاصة في كتاب مستقل لهذا الإمام الكبير . وفي المقدمة بعد ذلك تعريف بكتاب الرسالة وكيف ألفه الشافعي مرتين . وكيف أملاه على تلميذه الربيع إمامه . وهذا الاملاء ليس على اليقين ! فليس هناك ما يؤيده ولا ما يبدل عليه . وإنما بناء الأستاذ شاكر على رجحان وليعذرنا في أن نخالفه فيما ذهب إليه فالدليل الذي أتى به لا ينض وحده على رجحان الاملاء ويذكر الأستاذ في الصفحة نفسها الاسم الأول للرسالة وهو (الكتاب) كما سماه الشافعي نفسه ويستنبط أنها سميت الرسالة في عصره بسبب إرسالها إلى عبد الرحمن بن مهدي . ويعب في — هامش الصفحة — على المتأخرين تسميتهم كل كتاب صغير الحجم بالرسالة ، محتجاً بأن الرسالة من الأرسال . ويكرر فضيلته هذا الكلام في مقال له بالمقتطف عن كتاب مسند يعقوب ابن شيبه [المقتطف . يونيو سنة ١٩٤١ . باب مكتبة المقتطف — صفحة ٧٨] . ويحيل القارئ للمقتطف على صفحة ١٢ من كتاب الرسالة التي فيها هذا الكلام . والحق إن تسمية الكتاب الصغير الحجم بالرسالة ليست (عرفاً غير جيد) كما يقول الأستاذ . فكل كتاب صغير أو كبير (يرسل) المؤلف فيه آراءه إلى قرائه أرسالاً . ولا يحتجز تلك الآراء لنفسه أو يضعها لتحبس عنده . ومن هنا جاز تسمية الكتاب الصغير بالرسالة . وليس من الضروري أن يكون المقصود بالارسال الارسال الحسي الذي فهمه فضيلة الشيخ الجليل

وفي المقدمة كلمة عن أصل الربيع الذي يوقن الأستاذ أنه كله مكتوب بخطه . وهذا الأيقان لم يكن فيه صاحبه مستأثراً برأيه أو منفرداً بحكمه ، ولكنه أشرك معه أحد أخوانه ممن لم يصبر بالخطوط أو علم بها فوافقه على الرأي الذي ارتآه ، ولم يكن جميلاً من الأستاذ لو أنه أشرك معه أكثر من واحد فانا نعرف أن آراء خبراء الخطوط قد تختلف في مسألة بدلي فيها كل بما عنده . وفضيلة الأستاذ قاض جليل فإله يأخذ برأي الواحد في هذه المسألة ؟؟ ويعود حضرته في صفحة ١٨ فيضيف دليلاً جديداً على أن هذه النسخة من الرسالة هي من أملاء الشافعي نفسه . والدليل أن الربيع لم يترحم على الشافعي في كل موضع يذكر فيه اسمه .

وحبذا لو كان جاء هذا الدليل في موضعه الأصلي مع أخيه الأول في صفحة ١٢ وهنا رد الأستاذ على من يشكون في تاريخ نسخة الربيع ويخص بذلك الدكتور (موريتز) الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية ومن ذهب مذهبه. ويحتج فضيلته بحجج ، ويستشهد بصاحب صبح الأعشى. وينشر لوحين مصورتين للعوازنة بين خط وخط [لوحة رقم ١٠ ، لوحة رقم ١١] (سماعات الكتاب) أثبت الأستاذ شاكر سماعات كتاب الرسالة مرتبة متسلسلة ، وحذف المكرر منها. وجعل للأعلام الواردة في هذه السماعات فهرساً مرتباً على حروف المعجم ثم رجم لبعض الأعلام في هوامش المقدمة ، وبعض هذه التراجم موجز الإيجاز كله ، وبعضها جرى فيه الأستاذ على طريق الظن كترجمته للأمير أبي الحرث عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ بقوله [يظهر أنه ابن أخي الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ] . وتحقيق الأعلام لأبني من طريق الظن أو اتفاق الأسماء. وقد يكون صنع الأستاذ أجمل لو أنه جعل للتراجم صفحات خاصة من الكتاب كما صنع الأستاذ الدكتور سامي حداد في إخراج مسند ابن شبيه

(الرسالة ذاتها) تأتي بعد المقدمة والسماعات واللوحات رسالة الشافعي نفسها برواية الربيع ابن سليمان ، ويقع هذا الجزء من الكتاب في ستمائة صفحة لا تخلو واحدة منها من هامش مملوء بالتحقيقات الكثيرة والتعليقات المختلفة ورد الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها أو موازات بين نسخ الرسالة المطبوعة والمخطوطة وشرح لبعض غوامض الكلم مع ضبطها . ولقد بارك الله في نفس الأستاذ شاكر في الحواشي والهامش فجاءت صفحات كوامل من الكتاب بحالة بقله [راجع ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢]

ولفضيلة الشيخ باع طوبل في التحقيق والتدقيق ، وعمله في رسالة الشافعي هو شاهد على ذلك . هو يجمع إلى مزية العلم وخاصة الصبر على البحث فضيلة التواضع . رأى في صفحة ١٥ أن الأجدر به ضبط كل آيات القرآن التي يذكر الشافعي على قراءة ابن كثير ، لأنها قراءة الشافعي ولكنه أحجم عن ذلك كما يقول بنفس عبارته [إذ كان شاقاً عليّ عسيراً ، لأنني لم أدرس علم القراءات دراسة وافية] . وهذه العبارة أكبر الشيوخ في نظري . وجعلته من العلماء عندي في المحل الأوثق والمنزل الآكد

ومن فضائل الأستاذ في كتاب الرسالة تلك الفهارس المتنوعة التي عني بوضعها وترتيبها سهلاً للباحث وتخفيفاً عليه . ففهرس للآيات القرآنية الواردة في الكتاب ، وآخر لأبواب الكتاب على ترتيبها ، وثالث للأعلام مرتبة على حروف المعجم ، ورابع للأماكن التي ذكرت في الرسالة مرتبة كذلك ، وخامس للمفردات المشروحة في الكتاب وشرحه ، وسادس للفوائد الغريبة المستنبطة من الرسالة

وليأذن لنا الأستاذ أن نقف عند هذه الفوائد اللغوية وقفة قصيرة ، فبعضها يفيد لأنه ورد على وجه قوي أو استعمال غالب ، وبعضها لا يفيد لأنه ورد على أضعف الروايات في النحو أو أوهى اللغات . وما كان يجدر بمثل الأستاذ شاكر أن يتخذ من هذه الأمثلة الضعيفة الشاذة شواهد على الصحة أو الكثرة الاستعمالية ، والآن أصبحت اللغة فوضى سائدة ، ونحن في النحو الحديث نحاول أن نوفق بين المذاهب المختلفة ونقضي على الآراء الضعيفة والمذاهب المتناهية ليحل محلها رأي صحيح أو قول وجيه

ولقد عجبت أن يكون الشافعي وهو أفقه الناس بالقرآن وأفهم العلماء لسنة رسول الله — عجبت أن يكون ذلك الأمام ممن يجرون في اللغة وراء مذهب فاسد ضعيف ، أو قول مريض غليل . وهو يعلم أن القرآن نزل بأفصح لغة وأسلم لهجة

وأعجب من ذلك كله ألا يحمل الأستاذ شاكر ما شذَّ من كلام الرسالة على تحمل الخطأ أو الشذوذ أو الضعف — كما يقول في هامش صفحة ٦٥٩ . بل يجعل ذلك الشذوذ [شاهداً لما استعمل فيه وحجة في صحته] وهو مذهب غريب لو جربنا عليه وأخذنا به ما استبحنا لأنفسنا أن نقول في اللغة هذا خطأ وهذا صواب ، وهذا قوي وهذا ضعيف ، وهذه لغة وهذه لفظة ولجاز لكل انسان أن يحذف النون في الأفعال الخمسة من غير ناصب ولا جازم ، لأن فعلين وردا على سبيل الشذوذ أو الخطأ النسخي في كتاب الرسالة [مادتي ١٦٨٦ ، ١٨٠٨] . ولجاز أيضاً لكل من أمسك قلماً أن ينصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور — كما بخطي كثير من الناس في ذلك — لأن ذلك الاستعمال الشاذ الغريب ورد خمس مرات في النسخة الخطية من كتاب الرسالة التي كتبها الربيع [مواد ٣٠٧ ، ٣٤٥ ، ٤٤٠ ، ٤٨٥ ، ١٤٩٤]

وأشد من ذلك عجباً أن يحتج فضيلة الأستاذ مخرج الكتاب للشافعي بقوله في هامش صفحة ١٧٤ [والشافعي لغته يحتاج بها . والذي يبدو لي أن تكون هناك لغة غريبة لم تنقل في كتب العربية من اللغات الشاذة] ففضيلته يعترف في هذه العبارة بشذوذ هذه اللغة ثم يحيز بعد ذلك استعمالها ويتخذ منها شاهداً ومستنبطاً على صحة استعمالها

وللاستاذ في تحقيق الكتاب وضبطه آراء وجيهة مقبولة ، وله تعليقات لطيفة على ما ورد في النسخ المطبوعة الأخرى من الرسالة . إلا أنه في قليل من الأحيان قد يتعصب لرأيه ويخطئ رأي غيره كخطئته في هامش رقم ٧ صفحة ١٧٥ ورود الفاء في الفعل لزم من النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق . والصحيح أن الفاء في أول هذه الجملة ليست خطأ وموقعها هنا جميل وخاصة بعد قول الشافعي ثم [كانت لرسول الله في بيوع سوى هذا « سنناً » منها ... ومنها ... ومنها فلزم الناس الأخذ بها]

وبعد : فان كتاب الرسالة للإمام الشافعي قد أوتي من الحظ كثيراً بقيام الاستاذ احمد محمد شاكر عليه ، وهو يقع في قرابة ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وطبع طبعاً معتمداً به في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، فخرج سليماً من ناحية ذوقه وقفه ، مضبوطاً محققاً من ناحية مادته وموضوعه . ولقد اقتضى اخراج هذا الكتاب العظيم ثلاث سنوات من جهد فضيلة الشيخ وبجته وسهره وجده ودأبه ، وهُنَّ قطعة من العمر ، وحقبة من الدهر . فالله أسأل ان يبارك في حياة الاستاذ الجليل ليتحفنا دائماً ويستمتع العقول والابصار بنتائج بحثه وثمرات درسه وعليه سلام الله ورحمته

محمد عبد الغني حسن

معجم الثدييات

لإسماعيل مظهر صفحاته ٣٢ من القطع الكبير
مطبعة شركة فن الطباعة

وضع الاديب المدقق الاستاذ اسماعيل مظهر عضو المجمع المصري للثقافة العلمية السفر الاول من هذا المعجم الذي سماه معجم الثدييات . وجذا لو سماه معجم ذوات الثدي لثقل هذا اللفظ ولا سيما انه قال في شرح مراده انه « السفر الأول في الطبقات العليا يتضمن الاسماء الاصطلاحية من ذوات الثدي ٠٠٠ » الخ

وقال في مقدمة الكتاب « انه أول عمل من نوعه في اللغة العربية بل أول عمل لفوي علمي وضعت فيه مصطلحات جديدة على قواعد جديدة »

قال « على اني لم أشأ ان أخرجه للناس منذ ان (ولا لزوم للفتنة ان هنا) اكملت مواده ... حتى أيقنت أن الأسلوب الذي اتبعته في تأليفه ... هو غاية ما يصل إليه جهدي ... ويوسع آفاق اللغة العربية المحيطة ... » الخ

ولا ريب في ان هذا المؤلف على صغر حجمه — لانه مؤلف من ٣٢ صفحة من القطع الكبير — لقي فيه صاحبه من العناية ما لا يقدره قدره الا الذين عانوا مثله من المؤلفين فقد وضع امام كل اصطلاح عربي من اصطلاحات ذوات الثدي الاسم العلمي المقابل له في اللاتينية (او اللاطينية كما سماها) او اليونانية القديمة (الغريقية كما يسمونها) وهذا لا يتسنى الا للعالم كثير البحث والتدقيق والعارف بأصول هذه الصناعة

والذي يلقي نظرة عاجلة ، على الكتاب يعلم منه الفرق بين الترجمة والتعريب مما حفيت في ابنته أقلام القيسر على اللغة وألستهم فما أغناهم ذلك فتيلاً ولا يزال «أعلام» الكتاب يقولون عن كتاب ترجموه انهم عربوه . عفا الله عنهم وعسا

(ن . ش)

تطريب العندليب

تأليف جبران النحاس — صفحاته ٢١٢ من القطع الكبير — مطبعة جريدة البصير
 « من علامات الزمان » كما يقول الانكليزي في بعض اصطلاحاتهم ان يأتيك كتاب أدب
 هدية من اديب كبير فلا تستطيع قوله خير فيه او كلمة نقد في جريدة ما لانشغال الصحف في
 هذا الزمان بنشر اخبار الدمار والحرب

والكتاب الذي أعنيه الآن هو ديوان « تطريب العندليب » لناظمه جبران النحاس
 من الاسكندرية وفيه مختارات من « تعرييه » لأمثال لافوتين وغيرها
 والناظم من تلاميذ الشيخ ابراهيم اليازجي وهو شاعر وناثر معاً لا تكاد تجد له خطأ لغوياً في
 نثره كما تدل مقدمة الديوان البديعة ولا خطأ في ديوانه وكله من الشعر الجزل ومعظم ما نظمه
 من بحر الرجز . قال في مقدمته : —

« رغبت اول العمر في نظم الأساطير وما يسمونه « الشعر القصصي » وكان البعض يذهب
 الى أنها طريقة ممتعة على القوافي العربية لخرج قيودها . وانما هو وهم منشؤه اشتغال اصحابه
 بآداب الغرب عن غيرها والشواهد على نقيضه تفوت العد
 « وزاد تلك الرغبة عندي قول امامنا اليازجي : »

« اذا لم يكن في الشعر ما يستفاد من حكمة او أدب ، او ما يعجب من ابتكار معنى او
 ابتداء نكتة وكان قصارى ما يدور عليه الوزن والتقفية ، فما أقلمها جدوى تسهر عليها النواظر
 وتكد فيها الخواطر ثم لا يكون من ورائها الا أصوات يمكن أن يؤدي مثلها بنقر الدف ووقع
 مطارق القصارين » انتهى

غير أن المرء في كهولته ينتابه من عهد الصبا ما يشبه عداد السليم ثم هو لا يبرح عرضة
 لذكرات مضت يروقه الالتفات اليها وان امضه الامس عليها لذا لم أتمالك اليوم من اختيار نبذة
 أجعلها ذكرى لذلك العهد وطيبه ولمن غابوا عن العين بمغيبه « الخ . . .
 وأكثر منظومات الكتاب مما أجري من النقاش والحوار على ألسن الحيوانات على مثال
 حكايات لقمان العربي ولافوتين الفرنسي . ننقل على سبيل التمثيل النبذة التالية بعنوان العندليب
 وهي من بحر الخفيف وهي اول نبذة الديوان بعد الديباجة الشعرية :

كان في الروض العندليب يفتي	ملقياً من تغريده الف لحن
لاعباً ناعباً من الزهر الغض	طروباً كالشارب المرجح
يتفلى طوراً ويسمع طوراً	مشتمكي الريح بين غصن وغصن
صوته والجنح في حركات	مثل من أوقع الغناء بزفن

دلّ تطريه السّماء عليه ربّ فضل على اخي الفضل يحني
أخذه قيات معتقلاً في قفص مثل شاعر في سجن
وهو يدري وما دروا ان في الرو ض صغاراً تدعو بباب الوكن
عادة الطير ان تغني فغنى انما شاب صوته لحن حزن

والشعر كله على هذا المثال من دقة اللفظ ورقة النظم والذهاب كل مذهب في المعاني والبيان
والسمو الى السبع الشداد في البلاغة

وقد طبع الديوان اجل طبع على ورق لا تجده في أرخى أزمان السلم والرخص وان
وجدته حينئذ لم تختبر مثله جودة لرغبة الناس عن الادب الى اللّشب وعن كتب العلم واصلاح
المال الى الحرص وجمع المال
نجيب شاهين

كتاب كليلّة ودمنة

طبعة ممتازة منه لمطبعة المعارف — صفحاته ٣٠٩

عرف القراء ان مطبعة المعارف في الفجالة لصاحبها الأديب شفيق نجيب متري اصدرت
لمناسبة يويلها الذهبي طبعة ممتازة لكتاب «كليلّة ودمنة» لتكون ذكرى تاريخية لهذا اليوم
نقلًا عن أصح نسخة وأقدم نسخة لهذا الكتاب عثر عليها حضرة المفضل الدكتور عبد الوهاب
عزام وما قاله الدكتور عبد الوهاب في الكلمة التي قدم بها هذه النسخة أن الباعث على العناية
بهذا الكتاب هو أن «قليلًا من الكتب نال من اقبال الناس وعنايتهم ما نال هذا الكتاب،
فقد تناقصت الامم في ادخاره منذ كتب وحرصت كل أمة أن تنقله الى لغتها فليس في لغات
العالم ذات الآداب لغة الاّ ترجم هذا الكتاب اليها وبحق عنيت الأمم بهذا الكتاب العجيب
الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يلا القارئ عبدة وعجائباً
وسروراً والامم العربية أولى أن تعنى بهذا الكتاب في لغتها وأجدد أن تهتم بتاريخه وتوضيحه ونقده
لأسباب عدة أولها: ان النسخة العربية أصل لكل ما في اللغات الأخرى—حاشا الترجمة السريانية
الأولى— والثاني من الاسباب ان هذا الكتاب كتب باللغة العربية في منتصف القرن الثاني
من الهجرة فهو من أقدم ما بين أيدينا من كتب النثر العربي، وأسلوبه مثال من أقدم أساليب
الانشاء في لغتنا وهو لذلك جدير بعناية مؤرخي الأدب العربي والثالث انه نقل من الفارسية
الى لغتنا—والرابع ان عندنا منه نسخاً مختلفة لا تتفق اثنتان منها اتفاقاً تاماً ويعظم الخلاف
بين بعضها بالزيادة والنقص في بعض الأبواب وبعض القصص والامثال»

وقد أكبرنا ما يتجلى في كل صفحة من صفحاتها من مجهود كبير وهمة عالية وذوق سليم وسخاء مالي حتى جاءت طبعة الكتاب أجمل تحفة فنية من تحف الطباعة العربية في مصر وأنصح دليل — اذا احتاج النهار الى دليل — على ما لمطبعة المعارف من نصب السبق في هذا الفن . فكيفما أجال القارئ طرفه في هذه التحفة وقع على آيات من الدقة والاتقان . فمن حروف تروق العين لنقاها وحسنها ومن صحائف مطرزة بطارات ذات أشكال رقيقة هادئة . ومن صور ملونة اجتمع فيها الخيال الراقي والرسم الجميل والالوان الزاهية من صنع الفنان رومان ستريكافسكي ومن تبويب وتنسيق يأخذان بمجامع القلوب

والكتاب مهدي الى جلاله الملك فاروق وقد رفعت الى جلالته نسخة مجلدة أنفست تجليد وصدّر هذه الطبعة حضرة الدكتور طه حسين بك بكلمة بليغة . وتلتها كلمة مسببة لحضرة الدكتور عبد الوهاب عزام عرض فيها تاريخ تأليف كتاب كليله ودمنة في اللغة الهندية ونقله أولاً الى اللغة الفارسية ثم ترجمته الى العربية والى عدة لغات شرقية أخرى وغربية وما بذله من الجهد في الحصول على النسخة التي أشرنا اليها وقال انه كان ماضياً في البحث عن نسخ أخرى للمقابلة بينها لولا مفاجأة الحرب ولكنهُ قابل بين هذه النسخة وما توفر له من النسخ فأرى أنها أقرب منها الى الأصل

فهذه الطبعة الممتازة علاوة على مزاياها الفنية تعد أضبط نسخة من الكتاب وجدت حتى الآن . وحبذا لو طبعت منها مطبعة المعارف نسخاً رخيصة يقينها الجمهور . فنفتنم هذه الفرصة لتكرار التهنئة لمطبعة المعارف بيويلها الذهبي ونتمنى أن تظل عامرة تقدم أجل الخدم للادب والعلم في مصر والشرق

ابن المقفع

لعبد اللطيف حمزة — صفحات ٣٣٣ ص قطع صغير — مكتبة الجامعة بمصر

هذا الكتاب مما تنشره لجنة الجامعيين لنشر العلم ، وصاحبه من مدرسي اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في مصر . وهو كتاب مسوق على المنهج الحديث في التبويب والتأليف والمراجعة . ولما كان موضوعه ذلك الأديب البليغ الفذ : ابن المقفع رأى المؤلف ان يقدم بكلام مسهب على مكانة الشعب الفارسي بين الشعوب الاسلامية ، وأهمية العنصر الفارسي بين عناصر الثقافة الاسلامية ، وآثار الفرص الأدبية . وانتقل المؤلف بعد ذلك الى ترجمة ابن المقفع فذكر تفاصيل حياته وألوان أخلاقه وإنجازاته نظره سواحه الى المثل الأعلى او الدين او الاصلاح الاجتماعي ، ثم أقبل على دراسة أدبه وثبت آثاره وخصص فصلاً كاملاً لكليته ودمنة

وختم البحث بالفحص عن تأثير ابن المقفع في الأدب العربي بين شعر ونثر وتفكير
والكتاب كله فقرات متلاحقة متلاحمة ، غرضها واضح وعبارتها فصيحة رشيقة ، وهناك
فصل طريف كنا نحب ان نراه على تطويل واسهاب وهو الفصل الموقوف على النظر في أسلوب ابن
المقفع وانك ترى المؤلف يعرض لعبارة او يضع عبارات من كليله ودمنه أو غيرها فيفككها
ارادة أن تجعلك تلمس خاصية التركيب البلاغي والأداء اليباني ويعين لك أثر الفرس هنا وأثر
الخطابة هنا . ويخرج المؤلف من هذا التحليل اللغوي النحوي إلى مناظرة بين أسلوب ابن المقفع
ومدرسته وأسلوب الجاحظ ومدرسته . فالأولى كما يرى المؤلف بحق تحمل صبغة بدوية وميلاً
الى الإيجاز وضرب الأمثال في حين أن الثانية تنزع الى الطراوة الخاصة بالمتحضرين ومجنح
الى الاسهاب والتطويل

وأما بحث المؤلف في تأليف ابن المقفع من الناحية الفكرية فنظنه أقل طرافة وأكثر
تعميلاً على ما تقدم من الباحث ولا سيما مقالات المستشرقين
بقي أن نذكر أن المؤلف لم يدخر جهداً في اخراج كتاب يكون مرجعاً ، ولذلك كثرت
مصادره العربية والافرنجية . ولا كتاب « كشف » أو « مسرد » بأشهر الأعلام الواردة فيه
وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل ويطلب من مكتبة الجامعة لصاحبها محمد افندي
يوسف يشارع محمد علي وثمن النسخة ١٢ قرشاً صاغاً بما فيها اجرة البريد

الوثائق التاريخية لمعهد محمد علي

منذ عامين تقريباً أهدى اليّ الصديق العزيز الدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الحديث في
جامعة بيروت الاميركية كتابه القيم « مصطلح التاريخ » وهو بحث في نقد الاصول ومحري الحقائق
التاريخية وايضاها وعرضها . وكان أول مؤلف حديث في موضوعه وقد شغلني الواجبات
المتوالية فسبقني الى الكتابة عنه بعض زملاء المؤلف

وفي الشهر الماضي أخرج حضرة المؤرخ الفاضل برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق
الاول المجموعة الاولى من الوثائق التاريخية الخاصة بعصر المغفور له محمد علي باشا . فجاءت
مرجعاً تقيساً يهتدي به المشتغلون بالتاريخ عند ما يتفرغون لبحث ناحية من نواحي حكم ذلك
العاقل العظيم

وتعتبر تلك الوثائق التي بحثها ولخصها الدكتور اسد رستم في مؤلفه من اهم اصول التاريخ
للعنقب والباحث

فتلك الآلاف العديدة من الرسائل الواردة الى مجلس محمد علي باشا. والصادرة عنه هي بلا شك مرجع لتاريخ تلك الحقبة من تاريخ مصر وسوريا وتركيا وبلاد العرب. وهي تكون بلا جدال المواد الاساسية التي يقوم عليها المؤرخ اركان كتاباته

وهذا المؤلف التاريخي الذي اخرج به الدكتور اسدرستم ليس باكورة تاليفه اذ سبقها غيرها منذ نشر الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا. وكان المؤرخون الاوربيون قد جمعوا اصول ومصادر هذه الحقبة من التاريخ المصري عن المحفوظات الاوربية من الرسائل التي كتبها ممثلو الدول في مصر الى حكوماتهم فتألفت منها عشرات من المجلدات النفيسة التي يعرفها كل باحث وهي مطبوعات الجمعية الجغرافية الملكية

واليوم وبرعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ظهر المجلد الاول من وثائق الشام بالمحفوظات الملكية المصرية. ومنها تألف النواة الهامة للمؤرخين الذين يرغبون في درس هذه الحقبة الجيدة من تاريخ مصر وسوريا

ومن تلك الوثائق ما لخصه الاستاذ اسدرستم بعد ترجمته الى اللغة العربية ملازماً الاسلوب القديم لان الوثائق الاصلية مكتوبة باللغة التركية. وقد دوّن رقم كل وثيقة ومشتملاتها لكي يسهل الرجوع اليها

ونأمل ان لا تمضي مدة طويلة حتى نرى الاجزاء المتتالية من هذه المحفوظات النفيسة فينتفع بها عدد كبير من المشتغلين بالتاريخ المصري

الصاغ عبد الرحمن زكي

سلطان الظلام

صفحاته ١٦٥ من القطع الوسط — طبع بمطبعة التوكل بالقاهرة

الاستاذ توفيق الحكيم من احرار الفكر العربي لو صح أن للفكر قومية ينتمي اليها أو وطناً يُنسب اليه. ومن الحق أن نقول أنه من احرار الفكر الانساني، لانه يذهب نفسه حسرات على مصير التفكير الحر الطليق الذي يصوره ذلك النضال العنيف القائم الآن بين الدكتاتورية والديموقراطية

وفي نهار هذه الحضارة الصناعية التي قدّر علينا أن نشهد غمارها، وفي ضوء هذه المدينة الحديثة التي تلت ليل القرون الوسطى المظلم — في هذا الضوء الذي يكاد سناه يخطف الابصار يتساءل توفيق الحكيم في حيرة، مهدداً لكتابه الجديد سلطان الظلام : —

[ما بعد حضارة اليوم الحديثة ؟ ما مصير هذا النهار ؟ أترى مصيره مصير كل نهار ؟]

هل نستطيع أن نتيين في الافق جحافل الظلام المغيرة على هذا النهار ؟
في التهديد المبسوط لهذا الكتاب القيم تتجلى ومضات مشرقة من حرار الفكر عند توفيق الحكيم .
الآن هذه الومضات على التماعها وسطوح الاشراق فيها لا تخلو أن تكون سلسلة متصلة من
مخاوف الكاتب على مصير الانسانية ، ومن خيبة أملة في الحضارة الحديثة ، ومن خشية من
طغيان الصناعة الكبرى على العهد العلمي الحديث كما طغى من قبل الكهنة والتهيجان على العهد
الوثني فزلزل زلزالاً شديداً

ويخشى الكاتب أننا ساثرون القهقري الى المجتمع البشري الاول الوثني حيث كانت أحلام
الجماعات وأعصابها فريسة لسلطان الرجل القوي يخدرها ويؤثر فيها . فهذا الزعيم (المخدر) في
العصر القديم والزعيم (المروّض) في العصر الحديث شبيهان ، لا يكون في ظلالهما مكان للكلام
في الحرية (لان المروّض سيجان قبل كل شيء) والسجان بالبدهة لا يجب أن تهمس شفتا
سجينه بألفاظ الخلاص من القيود ، والانطلاق من الاغلال

وتوفيق الحكيم — حرّاً واسع حدود الحرية — ليس ممن يدينون بمبدأ (العلم للوطن) .
لأن هذا يعني عنده خدمة الجيش والعسكرية والاستعباد وسيادة الجنس والدم . ولأن هذا
المبدأ يدعو اليه « الزعماء المروّضون » الذين يمحّتهم الحكيم كل المقت

وبالرغم من مخاوف توفيق الحكيم ووساوسه من سلطان الظلام الذي يهدد العالم من حين
الى حين فهو مؤمن بأن (القيم التي كسبناها قد كسبناها) ومؤمن كذلك (أن الحرية والجمال
الروحي والفني والفكر الطليق وحقوق الانسان ، كل أولئك أشياء لا يمكن للانسانية أن تنزل
عنها أو تنساها . قد تعصف بها حيناً بعد حين عواصف القوى الأرضية ولكنها لن تستأصل
جذورها التي تنمو وتمتد في أعماق النفس البشرية)

وهذا الايمان هو الذي يؤلب دائماً جيوش توفيق الحكيم الفكرية ، وهو الذي يدعوه
دائماً — وهو من جنود القوى الروحية والفكرية — الى ان ينشر الصفحات وبطلق الصيحات
لتذكير النفس الانسانية بحريتها الموهوبة وتراثها العتيق في الانطلاق والانفلات من عض
القيود ، وصلصلة الحديد

(سلطان الظلام) كتاب الفه توفيق الحكيم في غمرة طالية لم يدع فيها النقع المنار
— كليل متهاوي الكواكب — مجالاً للأحرار أن يتكلموا بكل ما في نفوسهم . فتي بأذن
الله لهذه السحابة الفاشية أن تكشف عن وضع الصبح المبين ؟؟؟

عبد الغني

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

فصل الدم في الوالدين وأولادهم

المادتين فلا يمكن ان يكون ابن هذين الوالدين وهذه الطريقة لا تخلل البتة فيها ولكن قد تعرض حوادث لا يمكن تطبيقها عليها. مثال ذلك اذا اتهم رجلان بأنهما والد ما وافق انهما كليهما داخلان في «مجموعة» الدم الواحد كما يسمونها فيستحيل بهذه الطريقة اثبات اي منهما هو والد الولد. وقد ظهرت هذه النتيجة في خمسين في المئة من القضايا المتنازع عليها. وبعبارة أخرى ان هذه الطريقة تستطيع ان تثبت لنا ان طفلاً ما ليس ابن رجل ما ولكنها لا تستطيع ان تثبت لنا انه ابنه اذا كان ابنه حقاً. ولكن يمكن اثبات البتة بطرق أخرى مثل لون العيون فانه يجري على قواعد وراثية معينة ومثل ملامح الوجه وبعض عيوب الحلقة التي ثبت أنها تورث ولكن هذه الطرائق خالية من التدقيق العلمي اللازم

قررت محاكم أميركا العمل بنتيجة فحص الدم في الوالدين وأولادهم في جميع المسائل الخاصة بالوراثة وخطف الأولاد، وسائر وجوه الخلاف على البتة. وحدث في شيكاغو منذ بضع سنوات ان أهل طفلين في مستشفى تنازعوا على هويتهما فتقررت هذه الهوية بامتحان الدم وأعيد كل منهما الى والديه وكان رجال المستشفى قد أخطأوا فيهما فسلموا كلاً منهما الى غير والديه

وطريقة فحص الدم هذه مبنية على ان في الدم الانساني احدى مادتين اسم احدهما اجلوتينوجين A والاخرى اجلوتينوجين B او المادتين كليهما او قد يخلو من الواحدة او الاخرى او الاثنتين معاً فان خلا الوالدان من هاتين المادتين استحال وجود احدهما او كليهما في اولادهما فان لم ينجو دم ولد احدى هاتين

مرصم حسن الرائحة

ظهر ان نبات الورد يصاب بداء عياء يتلفه ولكنه حسن الرائحة الا في انوف مريه الذين ينتفعون به وقد وجد لحسن الحظ ان هذا الداء يقتل ببعض اصناف المطهرات

الطيران في الحرب العالمية الماضية

ظهر من احصاء في آخر السنة الأولى من الحرب العالمية الماضية انه من كل مئة طيار قتلوا في السنة الأولى مات اثنان بفعل الاعداء وثمانية بجعل في الطائرات و ٩٠ بجعل في أشخاصهم

البرد في القطب الشمالي

كان أخف مما هو الآن

صور البقايا المتحجرة من تلك الأشجار ومعها
صور هذه الأشجار التي تبت الآن في
الأقاليم المعتدلة

ويقول في مقالته هذه انه مرّت عشرات
الملايين من السنين وعلاقة اوروبا واميركا
الشمالية بالقطب الشمالي والمحيطات كما هي الآن
وقد جعلت الغابات «تمجر» جنوباً طبقاتاً
لتغيرات الاقليم في قارات تبت هواؤها على مرّ
العصور والدهور

يقول عالم اميركي ان الاسكا، والجد يغطي
أرضها على مدار السنة ، كانت حرارتها فيما
مضى مثل حرارة اميركا الآن وان أشجار المنطقة
المعتدلة كانت تنمو فيها وفي جرينلندا وشمال
سبيريا . وقد بنى حكمه في هذا على اكتشاف
بقايا الأشجار المشار اليها شمالي الدائرة المتجمدة
قال انها من بقايا عصر الايوسين منذ نحو ٥٨
مليون سنة ، وهذه المدة تعد وجيزة في حساب
الجيولوجيين . وقد عرض في مقال نشره

تغيير جنس بعض الحيوانات

بعد الولادة

ناقصة ولا تظهر عليها نهائياً علامات الذكورة
أو الأنوثة إلا بعد ولادتها بيومين أي في
اليوم الثالث من الولادة بل بعد ذلك . فعالج
ذكورها وأناثها من جراء سنّها بين ثلاثة
أيام ومئة يوم بمستحضرات غدد الذكور أو
الأنثى من الهرمونات بالحقن أو بمزج
المستحضرات بمواد دهنية وفرك جلود الحيوانات
بها . فظهر له ان الجنس يتعين فيها من اليوم
الثالث بعد ولادتها حتى يتغيره بهذا
العلاج ولكن بعض التغييرات تطرأ على
أبنية الجنس الثانوية حتى ان هرمونات
الانثوية جعلت صفات الذكور تثقل الى ناحية
الأنثى والعكس

جرب البروفسور مور من جامعة شيكاغو
تجارب علمية في جراء حيوان البوسيوم من
حيوان الفقير (الكنجارو) فتمكن من تغيير
جنسها من الذكورة والانثوية . ومعلوم ان
هذه الحيوانات تولد في حالة يصفونها بالناقصة
او غير الكاملة فتضغها أمهاتها حالاً بعد ولادتها
في جيوبها كما هو معروف حيث تبقى اكثر من
شهرين لانعام نقصها . وهذه الحيوانات تسكن
في استراليا دون غيرها

وقد انصح البروفسور مور ان هذه
الحيوانات تولد ناقصة كذلك من الناحية
التناسلية أي ان لها اعضاء للتناسل ولكنها

افتقار مرضى السرطان الى الراديوم

منه بمئات الألوف من الجنبات ولكن دقيقة صغيرة منه تقتل الجسم الانساني وفعله في الجسم يشبه فعل الكليسيوم اي ان تيار الدم يلتقط الراديوم ويحمله الى العظام ليرسب فيها ولكن أشعته الشديدة تهاجم العظام وقتنها ولا يمكن صد هذا الفعل وكل ما هناك انه يؤخر بالمعالجة بنوع من الغسل يزيل بعض الكليسيوم من العظام ومعها بعض الراديوم الراسب فيها . ولكن لا بد من موت العليل عاجلاً أو آجلاً . وفي العالم كله رطلان منه ثمنهما نحو خمسة ملايين جنيه اي ان العالم يفقر الى اكثر من الموجود منه

نال مرضى السرطان ضرر كبير من ضرب الطائرات الالمانية لمستشفيات مدن بريطانيا المختلفة لما فقد في هذا الضرب من الراديوم الذي يعالجون بأشعته ففي بريطانيا كلها نحو ٢٨ جراماً من الراديوم وهذا المقدار هو اقل من نصف ما في أميركا منه ومعظمه موجود في خمسة مستشفيات كبيرة في لندن ومستشفى في منشستر وهم الآن يخزنونه في أقبية لا تحترقها القنابل ثم ان الراديوم يحتفظ به لا للعلاج السرطان فقط بل لان في فقدته تهديداً لنفوس الملايين من الخلق ولا سيما اذا اتصل بماء الشرب او الطبخ او بهواء التنفس . ويقدر ثمن الرطل

فحص الرم في مصر القديمة

وكان هذا الطبيب قد فحص عظام مصريين قداماء وعضلهم ممن عاشوا في نحو ذلك الزمان او بعده بقليل فقال ان طريقة الفحص التي اتبعها مع هؤلاء لم تنجح مع الناجر المصري « واه » فعمد الى وسيلة أخرى وفحص مومياءه بأشعة إكس بعد رفع اللقائف عنها لمعرفة الجواهر التي ربما دفنت معها

فحص الاطباء مومياء تاجر مصري عاش قبل المسيح بنحو النفي سنة واسمه « واه » وبدأوا بفحص عضلاته فحصاً كيميائياً فوجدوا ان في أورده دمًا من صنف B ويقول الدكتور كنديل الكندي « ان مصر الحديثة هي من أعظم مراكز هذا الصنف ولكن الأصناف الثلاثة الأخرى موجودة فيها »

جزء من مليون من الثانية

أميركية هي أقل من جزء من عشرين الفاً من طرفة العين فوصفنا السرعة بأنها مثل طرفة عين وصف خال من كل تدقيق وهي سرعة بطيئة جداً بإزاء جزء من مليون من الثانية

ليس في وسعنا تصور جزء من مليون من الثانية ولكن المهندسين الأميركيين اخترعوا أنبوبة جديدة من أنابيب أشعة إكس يمكن بها التصوير الفوتوغرافي . هذه المدة في معدل جريدة

سرعة الطائرات

سؤال يجب الجواب عنه

« لو تمكن الانسان من اختراع طائرة سرعتها سرعة دوران الأرض مع محورها أي ألف ميل في الساعة فما هي الظاهرة الغريبة التي تحدث للطيار اذا طار شرقاً مع دورة الأرض أو غرباً ضدها »

ونذكر انه لم يجب أحد عن هذا السؤال جواباً صحيحاً. وقد أرادت الجريدة أن تعلم بعبارة أخرى انه اذا خرج الطيار ظهراً من القاهرة مثلاً واتجه شرقاً فماذا يكون الوقت في المكان الذي يبلغه بعد قطع ألف ميل . ومثل ذلك غرباً

فأراي دارسي الفلك من قرائنا في ذلك

صنعوا في أميركا طائرات يمكن ان تقطع ٧٠٠ ميل في الساعة ولكن هذه السرعة مما تعدّ تجربة ذات خطر شديد على الطيارين . أي ان الطيار في طائرة مثل هذه يستطيع ان يهبط من ارتفاع ٣٠ ألف قدم — أعلى قنن جبال حملايا بين ٢٠ ثانية او ٣٠ وعند وصوله الى سطح الماء لا يجد وقتاً كافياً يمنع به طائرته من الغوص في الماء واذا نزل الى سطح الارض تحطمت طائرته وتحطم هو معها .

وعلى ذكر سرعة الطائرات سألت جريدة النيكلية قراءها منذ مدة طويلة هذا السؤال

الاصوات وصوت سمعها

والغالب ان هذه الاصوات تكون أكثر جلاء في الصيف غرباً وفي الشتاء شرقاً . ففي صيف ١٩١٨ سمعوا في انكلترا صوت قصف المدافع في فلاندر البلجيكية ولم يسمع في المانيا وسمع الالمانيون صوت القصف شتاء ولم يسمعه الانكليز

يقول الانكليز والفرنسيون البعيدون عن منطقة خليج المانش أنهم يسمعون قصف المدافع التي تطلق فيه ومن جانيه . ومعروف عند العلماء ان قصف المدافع وصوت انفجار البراكين يمكن ان يسمعا من مسافة ٣٠٠ ميل

سرعة سير الكركند

وأطلقت في خريف سنة ١٩٣٩ في ميناء بوث من ولاية فاين الأميركية ثم وجدته على بعد ٥٤ ميلاً الى الجنوب ووجد بالحساب انه كان يقطع نحو ميلين في اليوم الواحد

الكركند بطيء الزحف كالسرطان والسلاحفة ، ومع ذلك فقد جرّب عالم اميركي التجارب في مدى المسافة التي قد يقطعها الكركند (او الجمبري الكبير) فأخذ واحداً

التحكم في الإزهار

يمكن عالم اميركي بتجاربه من التحكم في وقت إزهار بعض النباتات فجعل بعضها يمجل في الازهار من سنة الى نصف سنة ونتيجة ذلك رخص ثمن بعض الازهار المطرية المطلوبة لرائحتها ومنظرها . ومن هذه التجارب تغيير نوع السماد الذي أُسْمِدَ به ولا يبعد لذلك ان يستطيع العلماء تعجيل زمن الأثمار بعد الازهار فلا تنقطع الأثمار بل تبقى على مدار السنة

المواطف والبصر

أيدت مباحث العلماء ما قيل منذ زمان طويل عن تأثير بعض الشهوات الشديدة مثل شهوة الخوف وشهوة الغضب في البصر وأثبتت ان قوة الابصار لا تكون واحدة في حالي التهيج والسكون بل ان الشهوات الشديدة « تعمي » البصر بمعنى ان الرجل يرى في حالة سكون المواطف ما لا يرى في حالة هيجانها . وان كثيراً من حوادث التصادم في الطيران يحدث والطيارون عائدون من طيران طويل وعنيف ولذلك يشيرون بفحص عيون الطيارين قبل استخدامهم في الرحلات الطويلة

المناعة الرائجة من الرقنيريا والكزاز

اكتشفت كلية الطب في جامعة كليفورنيا مادة أو مصلاً اذا حقن به الأولاد وقام الدفتيريا والكزاز طول عمرهم . وهذه المادة هي مكروبات الداءين ومعالجتها بحيث يتكون منها مصل شاف يتكون من التوكسيد المتخفف عنهما ويحقن المصابون بمزيج منهما . وقد جرب بنجاح لأول مرة في ٤٠٠ ولد . والجديد في هذا الاكتشاف الحقن بالمزيج . أما الحقن بمصل كل منهما فمفروفي في الطب منذ عهد طويل كما هو مشهور . ومزبة الحقن بالمزيج هي ان مصل الداءين مستقلين يحقن به ثلاث مرات في حين ان حقنتين من المزيج كافيتان وفي الكزاز لا تعد حقنة الأنسولين المعروفة سوى تدبير بقي وقتياً من انتشار م الداء في الجسم وأما الحقن بالمزيج ، فتدبير يمنح الحقون مناعة دائمة

لا جبرير تحت الشمس

عرف اليونانيون القدماء مبادئ الآلة البخارية ولكنهم لم يستخدموها في الأعمال الجديدة بل كآلة لفتح ابواب هياكلهم واستخدموا في العايم آلة أخرى تشبه السيارة الحاضرة في مبدأها

تعلييل غير ساف للاحلام

قال طبيب من نيويورك في مجلة هيجيا الأمريكية : ليس الحلم حادثاً خارق الطبيعة . ولكنه مع ذلك قد يتضمن شيئاً من الانذار بالقبب بمعنى انه قد يبين لنا شيئاً نحاول الوصول اليه ونحن مدركون لذلك او غير مدركين له

«ودرس الاحلام يجب فيه درس أمرين : الاول الحلم نفسه كما يتذكره النائم عند تيقظه . والثاني معناه الخبوء في العقل الباطن ولكنه مشوه بأمور كثيرة . وللوصول الى هذا الخبوء يجب علينا ان نعود الى زمان طفولتنا وزاجع نمونا العقلي ونحن أطفال . والطفل في نموه هذا مضطرب دائماً الى كبح جماح ميوله النفسية والأناية المتسلطة عليه والمذخورة في عقله الناطق الذي يسطر كل كبيرة وصغيرة منذ يوم الولادة الى يوم المات . وضائرتنا تشكر علينا تلك الميول النفسية فتبدو مشوهة ومستورة فالاحلام أفضل وسيلة لدرسها واظهار رموزها

« وقد ترمز الاحلام الى التقود بلفظة عجين

والى الدولارات بنائيل صغيرة من الجنود والى الف دولار ببيانو كبير (كذا) . ومن وظائف الحلم ابقاؤنا نائمين . واذا عطشنا ليلاً فأتنا نحلم بأننا شربنا مراراً من غير ان نرتوي وهكذا نبقى نياماً حتى يشتد بنا العطش فيوقظنا وكثيراً ما يشتهي الحالمون اشياء تضرهم ولا تنفعهم واشياء تؤلمهم لأن فيهم ميلاً الى معاقبة أنفسهم . وكثيراً ما نجد العقل الباطن اعظم ادراكاً لمصاعبتنا من العقل الظاهر فاذا خفنا في احلامنا طروء مرض علينا كان ذلك الخوف مبنياً على علمنا المذخور في عقلنا الباطن بأننا مهددون بالمرض أو بأننا أخذنا نصاب به وينجم الحلم أحياناً عن تخمة أو برد الرجلين ولكن الميول المذخورة في العقل الباطن هي التي تعين محتوياته لا التخمة ولا برد القدمين

ويدل بعض الدلائل على ان الانسان يحلم ما دام نائماً وانه انما يتذكر جزءاً من احلامه

صمغ الاذن وطبعتها

أصحابهم حديثاً حسناً عنهم وصلهم بطريق التليباتي (انتقال الافكار) والواقع ان هذا الطنين قد يكون أول اعراض التهاب في الأذن الوسطى او الأذن الداخلية ونذيراً بوجوب معالجة هذه او تلك حالاً

ينتج صمغ الأذن من افراز الغدد الحماوية له ويسمى في الانكليزية بالشمع وذلك عند نهيج الغدد . ومهما تغسل الاذن فان غسلها لا يحول دون ذلك الافراز ودون تجمع الصمغ في الاذنين فينتج عن هذا التجمع طنين يحسبه البعض ناشئاً عن تحدث

فهرس الجزء الثاني

من المجلد التاسع والتسعين

صفحة	
٨٩	هذه الحرب العظيمة
٩٥	محطة الاحياء البحرية : لحامد عبد الفتاح جوهر
١٠٥	الدار الاسلامية في مصر : للصاغ عبد الرحمن زكي
١١٣	السلع التجارية الشرقية ورواجها في ديار الغرب : بقلم ر. التميمي
١٢١	مفارقات (قصيدة) : لخليل شديوب
١٢٢	القبريون : للاب انستاس ماري الكرملي
١٢٧	سقوط الشعر : للدكتور عبده رزق
١٣٢	رحلة ابن بطوطة : لمحمود مصطفى الديماطي
١٣٦	عودة الملاح (قصيدة) : لملي محمود طه
١٣٧	عينان معصوبتان (قصة مصرية) : بقلم محمود كامل المحامي
١٤٦	ضغط الدم : للدكتور ابراهيم ناجي
١٤٩	أحدث وسائل الاضاءة : لعوض جندي
١٥٤	اللغات السودانية الشرقية : للدكتور مراد كامل
١٦٣	بقاع الجمال وأثرها في الشعر والأدب : لمحمد عبد الغني حسن
١٦٩	حديقة المقتطف أرست رينان * . في ندي مدام دو دوفان : لسكامل محمود حبيب
	فجر القبرة : لخليل هنداي

١٧٧	باب المراسلة والمناظرة * شيء حول تشرشل : لعبد اللطيف غزالي . ابحاث علم النفس : لآنسة أمينة شاكر فهمي . عقيدة اسوالد اشينجلر : لسيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي
١٨٣	مكتبة المقتطف * كتاب الرسالة : لمحمد عبد الغني حسن . معجم اثدييات : ن. ش. تطريب المتدليب لتجيب شاهين . كتيبة ودمنة لابن المقفع . الوثائق التاريخية لعهد محمد علي ، للصاغ عبد الرحمن زكي . سلطان الظلام
١٩٤	باب الاخبار العلمية * فحص الدم في الوالدين وأولادهم . مرض حسن الراححة . الطيران في الحرب العالمية الماضية . البرد في القطب الشمالي . تغيير جنس بعض الحيوانات . افتقار مرض السرطان الى الراديو . فحص الدم في مصر القديمة . جزء من مليون من الثانية . سرعة الطائرات . الاصوات ومدى سمعها . سرعة سير السكر كند . التحكم في الازهار . المواقف والبصر . المناعة الدائمة من الدتيريا والسكراز . لاجديد تحت الشمس . تعاليل خير شاف الاحلام . صمغ الاذن وطبيعتها